رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2496) السنة التاسعة
الاثنين (28) أيار 2012

8

إضراب البصرة عام 1931 وآثاره

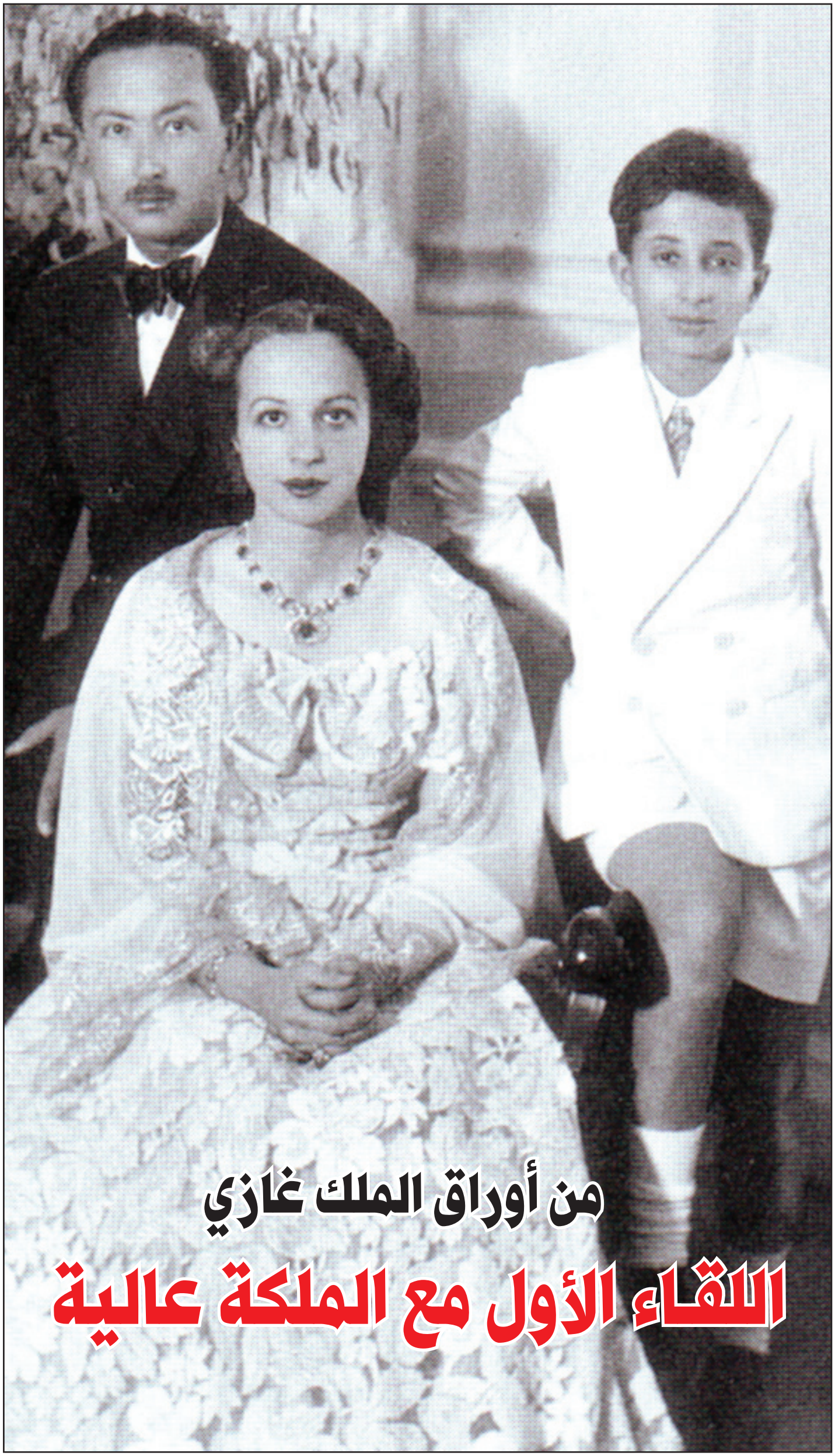

من أوراق الملك غازي

اللقاء الأول مع الملكة عالية

متصرف لواء الديوانية بين بكر صدقي وياسين الهاشمي عام 1936

خاص عزمي
كاتب عراقي راحل

اجمعت بعض الكتب والدراسات التي صدرت عن ياسين الهاشمي او بكر صدقي من خلال انقلابه المعروف عام 1936، او ماله علاقة مباشرة بهذين الموضوعين، على انه: لو اخذ المرحوم ياسين الهاشمي بنصيحة متصرف الديوانية وتحذيراته او لوانه سد مسامعه عما همس به كل من نوري السعيد وجعفر العسكري ورشيد عالي الكيلاني من ضرورة اهماله لتلك النصيحة او ذلك التحذير، لما كان لانقلاب بكر صدقي ان يحدث اصلا ولما اطيح بوزارة ياسين الهاشمي على تلك الصورة المؤثرة.

لقد لفت نظري حقا ان المؤرخين والدارسين لتلك الحقبة وما دار فيها من احداث (١٩٣٥ – ١٩٣٧) لم يكلفوا انفسهم مراجعة المذكرات الاساسية التي سجلها متصرف لواء الديوانية، والدي المرحوم خليل عزمي، ونشرها تباعا اعتبارا من العدد الاول من جريدته (الميزان) التي اصدرها حينما خرج من الوظيفة العامة إذ انهم لو تابعوا القسم الخاص باحداث الانقلاب العسكري لما بقيت (النصيحة) التي اسداها الى المرحوم ياسين الهاشمي مبهمة، ولما بقي اسم المتصرف مجهولاً.

ولكي نصل الى جوهر الموضوع سأورد هنا ما يتعلق به من مصادر:

١- جاء في الجزء الخاص من حديث تشارلس بتمان مساعد السفير البريطاني في بغداد مع ياسين الهاشمي حينما التقاه في بيروت والذي بعث به الى السفير السر أ. كلارك كير الذي ارسله بدوره الى المستر جورج راندل في ١٩٣٦/١٢/٩ ما يأتي "ثم تحول ياسين ثانية الى موضوع الانقلاب، فقال: انه ارتكب غلطة كبيرة اذ انه لم يثق بحكمه الخاص، فقد حذره (متصرف الديوانية) قبل الحادث بشهرين ان بكر صدقي كان يجمع الذخيرة باقصى ما يستطيع من السرعة ومن الواضح انه لم يكن يضمر خيرا، ومع انه (اي ياسين) كانت لديه الثقة الكاملة بالمتصرف، فانه احال الامر الى رشيد عالي وجعفر ونوري، الذي فهم انهم يتمتعون بثقة بكر صدقي، وقد طمأنوه جميعاً الى انه لا اساس لقصة (المتصرف) وانه خدع تماما بالمعلومات التي زوده بها زملاؤه. وقد لمح لو انه اتبع حكمه الخاص لوضع بكرا في مكانه بمنتهى السرعة".

٢- يشير الدكتور سامي عبد الحافظ في مقاله في (افاق عربية) المعنون (احداث عراقية في الوثائق البريطانية) فيما يتعلق بحديث الهاشمي مع تشارلس بتمان المنوه به اعلاه فيذكر. ".. واختتم ياسين الهاشمي حديثه بنقد ذاتي صريح معترفاً امام تشارلس بتمان بخطاه لانه لم يثق باحكامه في بعض الاحيان. وقد اشار هنا الى ما نقله اليه (متصرف الديوانية) من معلومات قبل شهرين من وقوع الانقلاب. وفحواها ان هناك حركة سريعة ونشطة يقوم بها بكر صدقي لجمع كمية من الاسلحة والاعتداء وانه يهدف الى عمل لا تحمد عقباه. وقد اعترف ياسين انه رغم ثقته العاية بالمتصرف فقد اثر ان يعرض الامر على رشيد عالي الكيلاني وجعفر العسكري ونوري السعيد الذين يكنون جميعا ثقة عالية ببكر ولقد اشاروا عليه باه خدع بالمعلومات التي نلها اليه (المتصرف) واكدو له بانها معلومات واهية لا يمكن التعويل عليها واعترف ياسين بانه لو عول على احكامها لكان بكر صدقي في غير مكانه الان".

٣- يذكر الدكتور لطفي جعفر فرج في كتابه (الملك الغازي): "ان(بكر صدقي) كان انذاك محسوبا على (ياسين) حتى ان الانكليز الذين طالبوا الملك فيصل في عام ١٩٣٣ بمعاقبته بسبب اسلوبه الشديد ضد الاثوريين كانوا يعتبرونه محميا من قبل (ياسين الهاشمي). وقد قربت الحركات العشائرية (بكر صدقي) الى (ياسين) كثيرا. ان لعب دورا بارزا في قيادة الحملات العسكرية التأديبية الناجحة ضد العشائر مما حمل (ياسين) على المطالبة بترفيعه، فرفع الى رتبة فريق في ١٩٣٦/٥/٤ وفسح المجال امامه للسفر الى اوروبا مرتين على حساب الحكومة ومنح مكافأت نقدية.. ولهذا لم يدر في خلد ياسين ان بكرا سيعمل يوما ما ضده".

ثم يقول في مكان آخر من الكاب نفسه: "اعترف ياسين بانه فوجيء بالانلاب وبين بانه كان يدري بمعارضة بعض الجماعات لوزارته، ولكن آخر ما كان يفكر فيه هو ان تأتي الحركة من قبل الجيش وبالذات من (بكر صدقي) كما اشار (ياسين) الى اتصاله ببكر صدقي وكيف ان بكراً اخبره ان الحركة قد قامت بمعرفة وموافقة الملك).

٤- يذكر التقرير الموجه من سر آ. كلارك الى المستر أيدن في ٣٠ نيسان ١٩٣٦: (سيدي: تشرف بابلاغكم بنشوب اضطرابات جديدة في الفرات بين الرميثة والسماوة (٢) بعد نشوب الاضطرابات في هذه المنطقة في السنة الماضية عين احد ضباط الجيش وهو عبد الحميد الشالجي متصرفا للواء الديوانية، ولم تكن ادارته للواء، على كل حال ناجحاً، وقد اتضح الان انه لم يقدم الى وزارة الداخلة تقارير كاملة عن الوضع العشائري المضطرب الذي كان يتفاقم منذ بداية السنة الحالية، وفي حوالي منتصف الشهر الحالي عين مكانه خليل عزمي، متصرف لواء ديالى سابقا وهو موظف مسلكي، ذو سجل ممتاز وما لبث خليل عزمي ان وجد سلفة قد خلف لهتركة من السخط الخطير، وقد زاد الوضع سوءا، قبل بضعة ايام، حين قاض الفرات فكسر ضفافه في عدة اماكن، واغرق مساحات واسعة من الاراضي العشائرية وقد نتجت عن ذلك اضرار كبير، يعتقد الكثيرون انه كان بوسع الحكومة تفاديها لو وافقت على تحويل المياه الفائضة الى بحيرة الحبانية.

٥- يذكر التقرير الموجه من سر كلارك الى المستر ايدن في ٥ مايس ١٩٣٦ في الفقرة (٥) منه: "تولى امير اللواء بكر صدقي مهام القائد العام للقوات في منطقة الديوانية – البصرة وجعل مقره الديوانية".

بعد هذا الايجاز تأتي على ما نشره المرحوم خليل عزمي من مذكرات في جريدة الميزان الخاصة بهذا الموضوع بالذات.

ففي الحلقة (١٩) من تلك المذكرات تحت عنوان (الامراض الادارية ومشاكلها) يمهد لجوهر الموضوع بقول "تتعرض الوحدات الادارية احيانا الى ضربات متفاوته في الايلام، قد تأتي من جانب الاحزاب المعارضة للحكومة القائمة، الطامعة بتولي المسؤولية من بعدها عن طريق اشارة الرأي العام ضدها. اما باحداث القلاقل والفتن او بدفع البعض الى العصيان المسلح كما حدث في بلادنا غير مرة، ففي هذه الحالة لابد وان يصاب الاداريون في وحداتهم برجة عصبية قد تذهل الضعيف منهم فتتركه خائر القوى مبدد الفكر لا يدري ماذا يفعله ولا يعرف ما يصنعه، اما القوى المتزن فتتركه مشغول الذهن بمعالجة الوضع، تارة بالاناة والرواية وتارة بالحزم والقوة، ولكن مهما كان، وحيث ان كل موظف اداري ملزم بحكم واجبه احباط الاضطرابات التي تحدث في وحدته بكل الوسائل الفعالة، اذا فمن مقتضيات العدل والمروءة بل من واجب المصلحة العامة ان يبقى هذا الموظف بمنحى من غضب المعارضين بعد توليهم الحكم، اذ ان مثل هذا الموظف لا يجوز له، باية حال التغاضي عن اعمال العصاة وترك

ياسين الهاشمي

بكر صدقي

الحرية لهم يعبثون في المنطق كيف يشاؤون : نعم انه ملزم بحكم واجبه ان يكون كذلك حتى ولو كان على علم اليقين ان الحكومة القائمة ستزول بعد لحظة قصيرة وتحل محلها الزمرة التي دبرت امر العصيان بليل، اما اذا انحرف عن هذا السبيل السوي وتعمد اغفال فعاليته تجاه العابثين ضد الحكومة القائمة فان مثل هذا الموظف يعتبر خائنا لامانته خارجاً على واجبه ولا يصح الاحتفاظ به...".

بعد هذا التمهيد نشر المرحوم خليل عزمي الحلقة (٢٠) من مذكراته والتي تحدث فيها عن لقائه المثير ببكر صدقي قبل قيامه بانقلابه المعروف حيث جاء فيها.

"زرت نادي الضباط في الديوانية وبقيت هناك حتى الساعة الحادية عشرة بعد غروب الشمس ولما حاولت العودة الى داري تقدم مني السيد بكر صدقي، وكان انذاك قائدا للحملة العسكرية المكلفة باخماد ثورة الرميثة، ورجاني بالحاح ان اتاخر بعض الوقت ليخلو لي فيحدثني بامر ذي بال، فلبيت رغبته وادخلني الى غرفته الخاصة، وبعد ما امر الجندي المرابط امام باب غرفته بالانصراف، قرب كرسيه مني واعتذر الي عن تقصيره بتأخيري ثم صفق بيمناه على يسراه وعلى وجهه تعلو اثار التبرم والانفعال ثم جرت بيني وبينه المكالمة التالية:

انا – اراك يا باشا..! في وضع غير طبيعي.. خير ان شاء الله؟

هو – انك تعلم باني كتوم للغاية فلا ابوح بسر اعتقد ان الاباحة به تشكل خطرا، ولكن ابوح لك بما لدي الان اعتمادا على الثقة المتبادلة بيننا والتي تأصلت جذورها في اعماق نفسينا منذ عهد الحركة الاثورية ولتعلم بان كل شخص مهما كان قويا صابرا على جور الزمان ونوائبه فانه لابد له من صديق حميم يلجأ اليه عندما تتحرج نفسه من بعض المشاكل ليرفه عن احاسيسه المتضايقة، وانت هو ذلك الصديق.

انا – يا باشا ولا تخف عني شيئا وستجدني حريصا على الاحتفاظ بسرك هو – الى متى انتم الاداريون تتحملون عبأ الاضطرابات والثورات والى متى نحن العسكريون نتحمل مسؤولية قمع الثورات بالقوة؟ نحن بدلا من ان ندخر الخرطوشة الواحدة ونحتفظ للجندي الواحد بها للذب عن بلادنا من تجاوزات الطامعين نوجه فوهات بنادقنا ومدافعنا الى صدور ابناء الامة البسطاء الذين تدفعهم الى الثورة دسائس حفنة من رجالات بغداد الطامعين بكراسي الحكم، فنحن وانتم اصبحنا آلة صماء تخدم ملحة اولئك الطغاة الجبابرة، فهلا يؤلمكم هذا لوضع المقيت؟! وهلا تجدون علاجا للتخلص منه والقضاء عليه.

انا – كيف تعتقد بوجود اناس مفكرين ناضجين يعتمدون إشارة الابرياء ويعرضون امن الدولة للخسارة. اما ترى ان ذلك اقرب منه الى الخيال من الحقيقة؟

هو – انك على وهم، إن الدلائل على ما اوضحته اليك ثابتة لدي ولدى الكثيرين، فلا يضح لك تجاهلها.

انا – على فرض ان ما ذهبت اليه انت صحيح، وما تصورته انا خطأ فما هي الوسيلة؟

هو – (وقد ضم اصابع يده اليمنى وبسط سبابتها واخذ يضمها ويطلقها بسرعة) هذا يجب ان يشتغل .. ، (اشارة الى المسدس) وهو الذي يصفي الحساب.

انا – ولكن من الذي يشغله يا باشا؟!

هو – اني ساستمتع باجازة لا تتجاوز الشهر الواحد اقضيها في النمسا للمعالجة فاذا عدت الى العراق سيكتب الله ما فيه الخير، وان تكون على استعداد لمؤازرتي، ولو من الناحية الادبية والتوجيهية.

وهنا ودعته وذهبت الى داري، ولكن بقيت حائرا امام معرفة الخطة التي سيسلكها صديقي القائد الناقم.

ومن خلال تحليل نفسي خاص وذاتي، يواصل خليل عزمي نشر حلقة جديدة من مذكراته بهذا الشأن فيقول في الحقة (٢١) منها ".. مع ذلك فقد وجدت نفسي بين قوتين متنافرتين كل منهما تحاول جذبي الى ناحيتها بعنف وشدة حتى اصبحت حائر القوى حائر البال، نعم، كانت احدى القوتين تدفع بي الى فضح كل ما سمعته من صديقي – بكر صدقي – الى وزير الداخلية ليكون على بينه من الامر ويتخذ ما يجب من تدابير فعاله تقضي على كل مؤامرة يحاول بكسر صدقي تنفيذها بعد عودته من النمسا لأن التكتم بمثل هذه الامور قد يؤدي الى انقسام الامة بما فيها قوات الحكومة المسلحة الى قسمين متضادين فتتبثق عن هذا الانقسام حرب اهلية كالتي حدثت في اسبانيا وهذا امر يطوح بالبلاد فيلقي بها الى احط دركات الفوضى والانحلال.

اما القوة الثانية، فكنت توحي بلزوم الاحتفاظ بالامانة التي علقها بكر صدقي في عنقي لان المروءة وشرف النفس والعرف الخلقي، يأبى غير ذلك سيما وان صاحبي القائد لم يكشف لي عن سريرته ولم يقدم على الاباحة لي بما كان يضمره إلا بدافع الثقة والاعتماد، في الوقت الذي كان باستطاعته ان يخفي عني ذلك ويتكلم به الى احد بعيد، فضلا عن احتمال عدم تصديق وزير الداخلية لاقوالي بالنظر لما بينه وبين بكر صدقي من صداقة متينة وثقة متبادلة، فاكون إذ ذاك عرضة لنقمة الطرفين (فاضيع المشيتين)، كما يقول الناس، ومع كل ذلك فقد تغلبت القوى الاولى على القوة الثانية بعد محاكمة وجدانية تحليلية طويلة.

وصل رئيس الوزراء المرحوم ياسين الهاشمي الى الديوانية في دورته التفتيشية الاخيرة وحل ضيفا علي في داري، وفي اليوم الثاني من قدومه انتهزت فرصة انفرادي به فدار بيني وبينه الحديث التالي:

انا – لماذا يا فخامة الباشا لا تستدعون اخاكم السيد طه من الخارج وتعهدون اليه بادارة المناورة العسكرية المقرر اجراؤها في قره غان بدلا عن بكر صدقي؟

هو – لماذا؟

انا– ارى ذلك اجدى واحوط.

هو – ومما الذي تحذره من قيام بكر صدقي بتنظيم المناورة؟

انا – احذر اشياء كثيرة يا سيدي.

هو – هل سمعت منه او من غيره ما يدل على انه يحمل نوايا سيئة تجاهنا؟

هنا انتهى موضوع بكر صدقي حيث انتقلنا الى مواضيع اخر، فماذا جرى بعد ذلك؟ عاد بكر صدقي من اوروبا الى العراق، ولم يلبث إلا قليلا حتى سافر الى قره غان وهنالك قام بمناورته العسكرية المنتظرة، ولاجل تنفيذ خطة الانقلاب بصورة مباغتة اوهم القطعات العسكرية المشتركة بالمناورة بانه اعتبر بغداد مدينة معادية وان غاية الجيش احتلال هذه المدينة، اذ لم يطلع احدا من قواد الجيش وضباطه على نواياه الحقيقية، إلا اذا استثنينا عددا ضئيلاً جدا بمن فيهم قائد الطيران، اما بالنسبة للمدنيين فانه لم يسار احدا منهم عدا زعيمين معروفين وبهذه الطريقة المحكمة انزل ضربته على حين غرة ودخل بغداد فاتحا بعد ان فر بعض اعضاء الحكومة الى خارج العراق. اما انا– فقد كنت في ساعة الانقلاب منكبا على اعمالي في الديوانية ولم يصلني خبر من احد عن وقوعه إلا انني سمعت هتافات عالية من جماهير متكاثفة، وكانت تلك الهتافات تتعالى كلما اقتربت من دار الحكومة، فسألت احد الموظفين من اهالي الديوانية عن الخبر فاجابني: "ان بكر صدقي باشا احدث انقلابا عسكريا وتسلم زمام الحكم وان حكمت سليمان بك هو الذي شكل الوزارة".

من اوراق خالص عزمي ا لمخطوطة

من ذكريات علي الغربي عام 1937

شاكر عل التكريتي
صحفي عراقي راحل

في سنة ١٩٣٧ كنت مدير مدرسة في قضاء (علي الغربي) في محافظة – ميسان – وايامئذ يسكن علي الغربي الحبيبة العزيزة قلة من اليهود الاقوياء وكان (ابو ساسون) كبيرهم الذي علمهم السحر. وكان بعضهم يمتهن الزراعة الى جانب التجارة... دعوت معلمي المدرسة العشرة لتوزيع جدول الدروس عليهم وقد رجوت المعلم – عبد عون الجابري – ان يقوم بتدريس الدين كونه من سكان علي الغربي ومن اسرة عربية مسلمة ولكنه اعتذر وكلفت معلما آخر هو (علي امام) من الموصل ويقيم الصلوات الخمس فاعتذر هو الآخر، وفي المساء زارني في داري المعلم (طعمة صالح) زيارة شخصية حيث عاتبني على عدم تكليفه بدرس الدين بعد ان اعتذر زميلاه، وفي اليوم التالي حققت رغبته في تدريس الدين.. وفي الشهر الحادي عشر وصلتني – برقية – من وزارة المعارف بان المفتش (خورشيد سعيد) سيقدم بجولة تفتيشية لجميع مدارس العمارة..

في تلك الليلة زارني في داري ثانية المعلم (طعمة صالح) وقال لي اسمح لي ان اكشف لك سرا ارجو ان يبقى سرا ما بيني وبينك.. قلت وما هو السر الذي تعنيه وتخشى من اعلانه؟ فأجاب.. اني معلم يهودي وما ان بمسلم!! وقد تطوعت لتدريس الدين عندما رفض زملائي المسلمون تدريسه!! فارجوا ان اطلعك على هذا السر قبل مجيء المفتش الى علي الغربي وقد يكشف السر فارجو ان تعلم بذلك وقد سكت عل مضض!! جاء المفتش وحل ضيفا في داري لمدة عشرة ايام بسبب انهمار المطر الغزير وانقطاع الطريق بين العمارة وبغداد وقد ارسل المفتش تقريره عن المدرسة بوساطة البريد المسجل وفي آخر ليلة – ونحن نتبادل الكؤوس – سألته عن انطباعاته عن مدرستي فقال ان مدرستك على مستوى جيد ولا تقل عن مستوى مدرسة – الكحلاء – في مركز العمارة.. وسألته ثانية عن انطباعاته عن (المعلمين العشرة) وكان من بينهم يساريون وشيوعيون فاجاب – وهو صادق – ان كل معلميك جيدون ومتميزون ولكن – معلم الدين – اجودهم!!

فقلت له .. يا استاذ خورشيد.. لابد ان اطلعت على سر يبقى سرا بيني وبينك وهو ان معلم الدين – يهودي – وليس مسلما وحكيت له القصة من اولها الى اخرها واوضحت له ان والد هذا – المعلم اليهودي – يعمل صائغا في سامراء واسمه صالح دانيال ونسب نفسه الى هذه المدينة.. وهنا استشاط المفتش غضبا وغادر – علي الغربي – حانقا في الصباح الباكر!! وبعد ثلاثة ايام استدعيت برقيا لديوان الوزارة في بغداد فاستقبلني وهو يضحك (يوسف عز الدين الناصري) مدير المعارف العام، وهو يقول لي قص عليّ قصة المعلم اليهودي الذي خدعك بتدريس الدين فقصصت عليه كل شيء بالتفصيل. واصبحت القصة من النوادر التي تحدثت عنها اوساط التربية والتعليم في كل انحاء العراق! وقد قال لي استاذ فاضل لا غرابة في ذلك وعليك ان تقرأ كتاب (بروتوكولات صهيون) لتدرك ان اليهود هم اليهود في كل مكان وزمان وفي كل المجالات.

لقد نقلت من (علي الغربي) الى (المجر الكبير) بسبب خلاف نشب بيني وبين القائممقام وكان مثل هذا الخلاف يمثل جانبا من جوانب الصراع بين رجال الادارة من جهة ورجال التربية والتعليم من جهة اخرى..

كان سلمان داود مدير ناحية (المجر الكبير) محسوبا علي (نوري السعيد).. وكان صديق الاقطاعيين شأنه في ذلك شأن جميع رجال الادارة.. وقد رد لي الزيارة في داري لا في المدرسة لانه كان يكره اثنين او ثلاثة من المعلمين الشيوعيين!

كما دعاني عدة مرات لتناول طعام العشاء وقد لبيت الدعوة وفي احدى السهرات وقبل موعد الامتحانات النهائية قال لي بان العادة قد جرت على انجاح ابناء الاقطاع في آخر السنة فارجو مساعدتهم وتحقيق نجاحهم.. وبهذه المناسبة فانا وانت وبعض الشخصيات من العمارة وقلعة صالح مدعوون الى (ليلة ساهرة) حتى الصباح لدى (الشيخ...) قلت بكل سرور اتقبل الدعوة شريطة ان يدعى اليها جميع المعلمين ، قال وهو كذلك واردف يقول. لقد جرت العادة كذلك ان يزف ابناء الاقطاع الناجحين بشكل مهرجان او كرنفال لا مثيل له ويزفون من المدرسة الى حيث بيوتهم في الريف.. وفي الموعد المعين وفي قصر – الاقطاعي – صاحب الدعوة حضر الموظفون الكبار والشخصيات البارزة من العمارة والقلعة والمجر حيث كانت الموائد العديدة موزعة هنا وهناك وتحت ضياء القمر والمصابيح الكهربائية.. وفي داخل الغرف كانت الدواليب والخزانات عامرة ومشحونة بانواع المشروبات الروحية من الويسكي والبيرة والبراندي) كما حضر جوقان موسيقيان مع المطربين والمطربات من البصرة والعمارة مع جوق غنائي ريفي.. وبعد ان دب دبيبها الى موطن الاسرار قلت لها قفي!! والسر هنا هو الاتفاق مع جميع المعلمين على عدم انجاح اي طالب لا يستحق النجاح، وقد شكلت لجنة ثلاثية تدقق دفاتر الامتحان من جديد.. وفي الصباح الباكر وزعت الدرجات النهائية بنفسي وسط – كرنفال – ضخم ترتفع فيه الهوسات والهتافات الى عنان السماء مع اصوات الموسيقى والطبول والدبكات الريفية. واتذكر ان ابناء الشيوخ لم ينجح منه الا ستة او سبعة طلاب من اصل ١٨ طالبا. ومن ثم ودعت المعلمين والمجر الكبير فكان سفري الى العمارة كالهروب!! فجرى معي تحقيقا من قبل – المحافظ – ومدير المعارف عن السبب الذي رسبت فيها ابناء الاقطاع وقد دخلت تلك السنة التاريخ من اوسع باب وهي السنة التي رسب فيها ابناء الاقطاع وكان لها تأثير بالغ وفاعل على افكاري (التحررية) حيث تجاوبت اشد وكاثر مع الطبقة الراعية المثقفة والمقاومة للرجعية والاقطاع ومن ورائهما الاستعمار البريطاني والطبقة الحاكمة.

جريدة الاتحاد
1987

كيف عرف العراقيون الدستور لأول مرة؟

سالم الالوسي
كاتب ومؤرخ عراقي

الدستور في العرف السياسي في عصرنا هذا يطلق على النظام الحكومي للامة وعلى الاخص النظام الذي يخول الامة الحق في سن القوانين ومراقبة السلطة التنفيذية ومن المؤسف ان يساء فهم مهمة الدستور واساليب تطبيقه وتفسير مواده فما جعل من الدستور موضع نزاع وانعدام ثقة بين القوى السياسية التي تتنافس على السلطة بدل سيادة التعقل والايجابية والشعور بالمواطنة الحقة، فالموطن قبل الاطماع الشخصية.

ثانيا: نظرة تاريخية الى الدساتير:

من المعلوم ومن النواحي التاريخية هي ان الممالك قامت على نظام استبدادي بحت فقد كان رئيس القبيلة، فالامير ثم الملك هو المتصرف المطلق على قبيلته او امارته او مملكته، لا راد لحكمه او لأمره، إلا ان عاطفة الحرية المغروسة في جبلة الانسان دفعت الامم لتلمس المخرج من هذا المأزق الاستبدادي، فكان اليونان سباقين من اقامة الجمهوريات، ثم جاء بعدهم الرومان باقامة المجالس النيابية، ولكن سلطة الامة لم تكن حاصلة على جميع حقوقها في كل تلك الهيئات، بل كانت هذه الجمهوريات والمجالس النيابية مصبوغة بصبغة سلطة الطبقة الخاصة المتنفذة فلم يكن لعامة الشعب نصيب منها.

ولما جاء الاسلام في القرن الاول الهجري (القرن السابع للميلاد) حول الامة التي الفها جميع حقوقها ومحق التمايز بين الناس من اي نوع او جنس كان، فلم يعترف برؤساء دين ولا بخاصة بل وضع الناس جميعا في مستوى واحد من الاخاء ونادى القرآن الكريم في الناس "يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم" ثم جعل الحكم شوريا بمقتضى هاتين الايتين: "وامرهم شورى بينهم" و"وشاورهم في الامر" فاذا كان المسلمون لم يستطيعوا في مبدأ تكوينهم ان يقوموا على نظام حكومي ثابت، فما ذلك إلا لانهم كانوا قريبي عهد بالبداوة فلم يعرفوا وجوه الانظمة الاجتماعية، ولو عرفوها لاسسوا حكومة ديمقراطية تقوم على دستور وقوانين وانظمة لا تفضلها حكومة متقدمة من عصرنا الحاضر.

اما في الغرب فقد بدأ الشعور بمبادئ الحرية يوم طالب زعماء الانكليز وحملوا الملك وليم الاول سنة ١٠٦٦ م على التوقيع على عهد يخول للناس بعض الحرية ويضع لسلطته المطلقة حدودا ومعالم معينة.

ولم تلبث حركة المطالبة بالحريات ان انتشرت من فرنسا تجسدت بالمطالبة بالحقوق الدستورية واعقب ذلك قيام الثورة من ١٤/ تموز/ ١٧٨٩، وقد تأثرت بهذه الثورة العديد من الاقطار في اوروبا وامريكا، وحتى من المشرق فان سلاطين ال عثمان اضطروا لاعلان ميلهم الى انظمة الحرية فاعلن السلطان عبد الحميد الاول التنظيمات الخيرية ثم توالت حركات الاصلاح والمطالبة بالحياة الدستورية التي توجب باعلان (المشروطية) – اي اعلان الدستور عام ١٩٠٨، ومصطلح المشروطية ماخوذ من انظمته الشروط عند المسلمين (يراجع علم الشروط لسالم الالوسي، طبعة المجمع العلمي العراقي).

قام بحركة اعلان الدستور (المشروطية) اقطاب حزب الاتحاد والترقي وهم نيازي وانور باشا ومحمود شوكة باشا، حتى نعتهم الشاعر المصري حافظ ابراهيم بقوله:

ثلاثة اساد يجانبها الردى
وان هي لاقاها الردى لاتجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقي
مخالبها فيه وتنبو مخالبه
ردت قول بشار فثارت واقسمت
وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه

وبعد اعلان المشروطية تهض عدد من العراقيين المواطنين الشرفاء من مختلف ممثلي الشعب العراقي العرب والاكراد والتركمان واليهود والمسيحيين للمطالبة بحقوق الشعب التي تتلخص.

١- المطالبة باللغة وكانت اللغة العربية مهملة مع انها لغة الشعب العربي كافة.

٢- الاشتراك في الادارة والتساوي في التوظيف في المملكة اي البلاد العربية وان يكون من العرب كما يجب ان يكون في بلاد الترك من هم من العنصر التركي.

٣- ان ينالوا الثقافة اللائقة كما نالها الاتراك، فتكون لهم مؤسسات علمية وادبية وثقافية.

٤- ان يراعى في التوظيف للبلاد العربية ترجيح من يحسن العربية ليتم التفاهم.

لقد استمرت الاحوال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ – ١٩١٨ بانتصار الحلفاء واندحار المانيا والدولة العثمانية وحلفائهما.

الدستور في ظل الانتداب البريطاني:

وبقدر تعلق الامر بالعراق الذي وقع تحت سلطة الاحتلال البريطاني وتأسيس الحكومة العراقية المؤقتة فقد اذاع المندوب السامي البريطاني في ١٩٢٠/١١/١١ البيان التالي الاتي:

"بناء على ما ورد في المنشور الصادر في ١٩٢٠/٦/١٧ بان حكمة ملك بريطانيا اذنت بتشكيل مجلس نيابي منتخب لسن قانون اساسي" وجاء في الفقرة ثالثا: من المنشور الصادر في ١٩٢٠/٦/١٧.

ثالثا: الزامها بتشكيل قانون اساسي، وبان تستشير اهالي العراق في مسألة تشكيله مع ملاحظة حقوق الاجناس المختلفة الموجودة من العراق ورغباتها ومنافعها.

الدستور في العهد الملكي:

وبناء على ما قرره المجلس التأسيسي صادق جلالة الملك فيصل الاول على القانون الاساسي في ١٩٢٥/٣/٢١ الموافق ٢٥ شعبان ١٣٤٣ هـ في عهد وزارة ياسين الهاشمي وجاء في ديباجته:

"نحن ملك العراق: بناء على ما قرره المجلس التأسيسي، صادقنا على القانون الاساسي وامرنا بوضعه موضع التنفيذ. فيصل وتواقيع رئيس الوزراء والوزراء"

وكان القانون الاساسي للمملكة العراقية يتكون من :

مقدمة تتألف من عشرة ابواب، و(١٢٣) مادة كالاتي:

المقدمة – من المواد ١-٤

الباب الاول – حقوق الشعب: المواد من ٥ – ١٨

الباب الثاني – الملك وحقوقه : المواد من ١٩ – ٢٦

الباب الثالث – السلطة التشريعية : المواد من ٢٧ – ٦٣

الباب الرابع – الوزارة : المواد من ٦٤ – ٦٧

الباب الخامس – السلطة القضائية : المواد من ٦٨ – ٨٩ .

الباب السادس – الامور المالية : المواد من ٩٠ – ١٠٨

الباب السابع – ادارة الاقاليم : المواد من ١٠٩ – ١١٢

الباب الثامن – تأييد القوانين والاحكام : المواد من ١١٣ – ١١٧

الباب التاسع – تبديل احكام هذا القانون الاساسي: المواد من ١١٨ – ١١٩

الباب العاشر – مواد عمومية : المواد من ١٢٠ – ١٢٣

الدستور المؤقت:

وفي ١٩٢٥/٧/٢٩ جرى تعديل تسع مواد من القانون الاساسي في عهد وزارة عبد المحسن السعدون، وجرت محاولات اخرى لتعديل القانون الاساسي حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فصدرت مسودة "الدستور المؤقت" وذلك في بيان قدمه عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة ويتألف من (٤) ابواب و(٣٠) مادة وجاء في المادة الاولى : "الدولة العراقية جمهورية مستقلة ذات سيادة كاملة" ولم يشرع دستور غير مؤقت حتى عام٢٠٠٥.

من تاريخنا النضالي المعاصر

اول اضراب.. في تاريخ الصحافة العراقية

شهاب احمد الحميد
مؤرخ عراقي

ما ان تم القضاء على حركة مايس ١٩٤١ واستكملت قوات الجيش البريطاني احتلالها العسكري لبغداد للمرة الثانية ، حتى خضعت الصحف، والمجلات، وسائر المراسلات والمطابع الى رقابة عسكرية شديدة، وقيدت الحريات العامة وزج المئات من اصحاب الرأي، والفكر، ولصحافة في السجون وابعد العشرات منهم وازدادت الحياة سوءا بعد ان توقفت عن الصدور صحف عديدة تعرض عمال المطابع جرائها للبطالة وتفاقمت الازمة المعاشية للمواطنين بعد ان دخل بغداد في غضون شهر حزيران نحو مائة الف جندي عسكروا الى الجانب الغربي منها – اي في الكرخ – واحتل ضباطهم معظم الدور الحديثة المجاورة لمعسكرهم فارتفعت اسعار الحاجيات ارتفاعا فاحشا، وتعذر على الطبقتين الفقيرة والمتوسطة العيش بيسر، فانصفت الوزارة الموظفين والمستخدمين بزيادة مرتباتهم غير ان تلك الزيادة لم تجد نفعا لان اسعار المواد الاساسية تضاعفت عشرات المرات بشكل متصاعد ومستمر. ومما زاد الطين بلة ان عددا من الاعيان، والنواب، والوزراء، وكبار الموظفين نزلوا الى الاسواق لشراء المواد واحتكارها مما تسبب في تعميق الازمة المعاشية للمواطنين بشكل لايطاق فاصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية بيانا الى متصرفي الالوية كافة رجت فيه استفزاز حمية رباب الشهامة والمروؤة لجمع التبرعات المستعجلة لمساعدة الفقراء الذين نكبوا بارتفاع الاسعار العامة ارتفاعا فاحشا ادى الى انتشار المجاعة والامراض بين الطبقة الفقيرة من الناس وبالرغم من قسوة الجوع فقد كانت اصابع المواطنين تشير بالاتهام الى الجيش البريطاني المحتل الذي تسبب وجود اعداده الضخمة في بغداد بارتفاع الاسعار، وخلق الازمة المعيشية مما حدا بالسفارة البريطانية ببغداد الى اصدار بيان مطول نفت فيه تلك الشائعات التي كانت تتردد على السنة المواطنين، (وفي مطلع ١٩٤٢ ومع زيارة ، ولتر مدنكتسون الرئيس الاعلى لادارة الرعاية البريطانية في الشرق الادنى الى العراق، وهو الذي كان يغدق على بعض الصحفيين المال الجزيل كلما اجتمع اليهم ووجههم التوجيه اللازم، بدت الحياة اكثر قسوة من اي وقت مضى حيث اعلنت الوزارة السادسة التي شكلها نوري السعيد في حينها باضطهاد الوطنيين والاحرار واصبح شغلها الشاغل وهمها الوحيد تسيير المصالح البريطانية واعلان الحرب على دول المحور، ومكافحة الافكار الفوضوية والهدامة).

.. في الوقت الذي ضاقت فيه الحياة بالطبقة العاملة، وشهدت الحركة الطباعية اسوأ كساد في تاريخ العراق الحديث حيث اصبحت فيه الاجور التي يتقاضاها عمال المطابع لا تتناسب والاسعار المحلية السائدة، وكانت الاوضاع العامة سيئة جدا بحيث اعتبرت فيه مديرية الرعاية، قيام مديرية السجون بانتاج الصمون لتخفيف وطأة ازمة الخبز في العاصمة مكسبا من مكاسب الوزارة السعيدية للترفيه عن المواطنين. (وبالرغم من وجود قانون العمل، فقد كان عمال المطابع يعملون بدون وقت محدد.. يأتون الى مطابعهم في الصباح ويخرجون في ساعة متأخرة من الليل.. وفي ايام جلسات المجلس النيابي يحمل عمال مطابع الصحف عموما متزايدة، حيث كانت الصحف تتسابق في نشر اكبر مساحة من الخطابات، منها ما ينشر من خطب المعارضة ومنها ما ينشر من خطب لمؤيدين الوزارة وبالاضافة الى ذلك ساعات الحالة المعاشية لعمال المطابع، وعمت البطالة جميع اصناف مهنة الطباعة وقد بدأت الصحف تصدر باربع صفحات لقلة الورق، وتعطلت الكثير من المطابع لعدم وجود الادوات الاحتياطية.. وهكذا غدت الحياة اكثر قسوة من اي وقت مضى..

وعلى الرغم من قلة عدد عمال المطابع، الا ان معظمهم كان يقرا ويكتب، فيما كان بعضهم يمتلك جذورا ثقافية ومنهم من تعلم امورا كثيرة بحكم طبيعة المهنة ، وارتباطها بحركة تطور الثقافة والفكر والادب على المستويين القومي – والطبقي.

لهذا كله لعب عدد عمال المطابع دورا كبيرا.. ومؤثرا في تدارك الامر وكانت طبيعة تواجدهم في المناطق الشعبية من بغداد تسمح لهم بعقد اللقاءات وتبادل الاراء حول ضرورة وضع حد لضائقتهم المعاشية فاتخذوا من مقاهي عديدة في بغداد مقرات لتجمعهم مثل مقهى ياسين في شارع ابي نؤاس واخرى في الصالحية، وثالثة في جانب الرصافة بالقرب من مطبعة الحكومة ومقاهي شارع المتنبي والميدان، بالاضافة الى اتخاذهم مسكن احد شعراء عمال المطابع مقرا للاجتماعات المهنية النقابية يلوذون اليه كلما وجدوا مضايقة من شرطة التحقيقات الجنائية.

وفي عطلة يوم الجمعة المصادف ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٢ اجتمع بعض عمال المطابع وكان معظمهم من العمال المرتبين من مختلف الاتجاهات الوطنية والقومية والديمقراطية للتشاور فيما بينهم بشأن وضع حد لاوضاعهم الاقتصادية المتدهورة ونتيجة للمشاورات السريعة قاموا بتنظيم مذكرة تضمنت جملة من المطاليب كان اولها زيادة رواتبهم بمعدل لا يقل عن ٢٥٪ وتحديد ساعات العمل في جميع المطابع الاهلية بثمان ساعات، ودفع مخصصات الاعمال الاضافية، ومنحهم الاجازات المرضية والاعتيادية، والالتزام بقانون العمل رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦. وقد انبثقت من بينهم لجنتان تشكلتا للمتابعة وتنظيم الاتصالات مع اصحاب المطابع الاهلية، وللتفاوض مع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وبعد تمحيص المذكرة تم تبليغ الجهات ذات العلاقة بان عدم تنفيذ المطالب خلال ٤٨ ساعة سيؤدي الى علان الاضراب العام، وسوف لن يعود عمال المطابع الى اعمالهم ما لم تتحقق مطاليبهم كاملة لهذا فقد ايدت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية اهتماماً كبيرا بالموضوع حال تقديم الطلب في يوم السبت الموافق ١٩٤٢/١٠/٣٠. وفي مساء اليوم اجتمع المتفاوضون فتبين لهم اولا:

ان وزارة العمل: تؤيد مطاليب العمال بتطبيق قانون العمل، ولكنها تتمنى عدم القيام بالاضراب، ثانيا: ان اصحاب المطابع لم يهتموا للامر بادىء ذي بدء، واعتقدوا بانهم يتمكنون من التفريط بالحقوق المشروعة لعمال المطابع من خلال المماطلة والتسويف، وكان اشدهم قساوة وتعجرفا اولئك الذين اصبحوا اصحاب مطابع اثناء الحرب وكانوا عمالا قبلها!

وكان لسماع عمال المطابع نتائج المفاوضات وقع كبير في نفوسهم، ورفع معنوياتهم، فازدادوا تماسكا بحيث اصبحوا على مطلق الاستعداد ولاعلان الاضراب، بل انهم اخذوا يترقبون اللحظات التي تعلن انتهاء المدة المحددة لاعلان اضرابهم التام والشامل، ليبرهنوا على قوتهم ووحدتهم وتفانيهم في النضال من اجل الحصول على مطاليبهم المشروعة. وكان يوم الاثنين الموافق الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٤٢ يوما ساخنا ليس في تاريخ الحركة النقابية لعمال العراق فحسب بل في تاريخ العراق كله.. بما شهد من احداث منيرة تجاوزت في ابعادها ومؤثراتها تاريخ الصحافة والطباعة. ففي ذلك اليوم اعلن العراق الحرب على دول المحور الثلاث، وحين خرجت الصحف مزدانة بعناوين بارزة لخطاب العرش الذي القاه الوصي عبد الاله مفتتحا به مجلس الامة قائلا:

"فقضية الامم المتحدة، هي قضية الامة العربية وكل ما ورد في ميثاق الاتلانتي، وخطب رئيس وزراء بريطانيا، ورئيس جمهورية الولايات المتحدة، ووزير خارجية بريطانية، واخيرا ما سمعه مجلس الامة البريطاني من المارشال سمطس ، رئيس وزراء جنوبي افريقيا ينطبق كله على سياستنا الخارجية". كان عمال المطابع يرددون بعض كلمات الاستهجان لخطاب العرش، وهم يعانقون نور الشمس لاول مرة في حياتهم ويداعبون خيوطها في وضع الظهيرة، بعد ان تركوا جميعا دباجير الظلام التي تقبع بها مطابعهم في تلك السراديب المعتمة ذات الرائحة المتعفنة التي تنبعث من الجدران الرطبة.

معلنين اضرابهم التام والشامل، فقد لازم معظمهم دور سكناهم ونظم فريق ىخر منهم سفرات جماعية حشدوا فيها بعضا من الذين يخشى من تعاونهم مع السلطة البائدة، وقد بذلت اجهزة القمع السعيدية ولاسيما الشرطة الجنائية كل ما في وسعها لكسر الاضراب ملاحقة عمال المطابع والصحفيين التقدميين، مستعينة ببعض اصحاب المطابع وبعض العاملين باللزمة فيها، ولكن كل تلك الجهود ذهبت هدراً.

ولما كانت وسائل الارهاب لم تجد نفعا، وخشية ان يستمر الاضراب وتتعمق ازمة السلطة، وتتعالى اصوات النقد والاستنكار لمظاهر الاحتلال البريطاني الجديد، طلب وزير الشؤون الاجتماعية احمد مختار بابان من الاستاذ مصطفى جواد الذي كان يشغل منصب ملاحظ العمل في الوزارة، والاستاذ هاشم جواد مميز العمال (التوسط لدى العمال المضربين) من خلال لجنة الاضراب، وبالفعل فما كادت شمس تشرين تنحسر خلف الافق حتى كان لفيف من العمال على موعد مع الوزير الذي استقبلهم بكلمات الترحاب وخاطبهم بلهجة التعاطف والمودة معربا لهم عن تأييده لمطالبهم المشروعة وهكذا تم الاتفاق على اصدار البيان المشترك التالي:

"... الى / مميز العمال بوزارة الشؤون الاجتماعية.

لقد تفضل معالي وزير الشؤون الاجتماعية فقابلنا نحن ممثلي عمال المطابع وبين لنا ان ما طلبناه في عريضتنا المقدمة الى وزارة الشؤون الاجتماعية بتاريخ ١٩٣٢/١٠/٢٦ حول زيادة اجورنا كان قد جرى الاتفاق عليه بين الوزارات المختصة واصحاب الصحف والمطابع، واننا ابتداء من هذا الشهر سننال مخصصات غلاء المعيشة مقدارها ٢٥ بالمائة (خمسة وعشرون بالمائة) وكذلك فانه سينطبق في احوال عملنا جميع ما نص عليه قانون العمال وتعديله.

لهذا وقع على هذا الكتاب عن جميع عمال المطابع ونتعهد بالاتصال بجميع العمال المذكورين لافهامهم ذلك وعودتهم الى العمل هذا اليوم ١٩٤٢/١١/٣ محمد اسماعيل.. و.. حسين علي الناصر.. عن العمال.

وقد تم طبع الكتاب المذكور ووزع على جميع العمال واصحاب المطابع في تلك الليلة.

ومع هذا فلم تصدر في صبيحة اليوم التالي سوى صحيفة واحدة عمد عمال المطابع على اخراجها بصفحة واحدة تأييدا لاضرابهم فنشرت تلك الصحيفة خبر الاضراب في المكان المخصص لافتتاحيتها تحت عنوان بارز، هو "اضراب عمال المطابع" الذي جاء فيه:

"اضرب امس عمال المطابع لتأييد مطاليبهم المتضمنة زيادة اجورهم بمناسبة غلاء المعيشة وتحديد ساعات العمل اليوم بثمان، ودفع اجور اضافية اذا زادت مدة العمل على ذلك، وهذه مطاليب مشروعة سبق لمطبعة الاهالي ان قبلت بها تجاه عمالها، ونامل ان تقبل بها سائر المطابع قريبا لان اسعار ضرورات المعيشة قد تضاعفت واصبحت اجور العامل لا تسد حاجاته الضرورية بمفرده". ولم تصدر هذه الجريدة بشكلها الاعتيادي لان عمال المطبعة وان لاقوا منها تأييدا لمطاليبهم لم يريدوا ان يتفرطوا عن زملائهم ويستأنفوا العمل قبل ان ينال جميع عمال المطابع مطاليبهم المحقة.

"وقد علمنا اخيرا ان الحكومة توسطت بالامر فقبل سائر اصحاب المطابع بمطاليب العمال ونأمل ان ينتهي هذا قريبا".

وهكذا خاض عمال المطابع اول اضراب في تاريخ الصحافة والطباعة في العراق، وكان ذلك يوما مشهودا حقا في تاريخ الحركة العمالية، ايقظ الشعب الذي تنبه معجبا ومتعاطفا مع هذه الشريحة العمالية التي صنعت شيئاً لم تصنعه فئة من العمال بمفردها، في ذلك الوقت المتأزم، وتلك الاونة المصيرية.

وكان للتماسك الاخوي الرائع لعمال المطابع اثر كبير في توجيه تلك الضربة الفولاذية التي اذهلت السلطة البائدة واصحاب المطابع، وجعلتهم يلبون مطاليب العمال المضربين بعد اضراب دام يوما واحداً فقط، بحيث كان من شروط العودة الى العمل مطلب جديد له دلالته هو عدم استقطاع اجرة العمال عن يوم الاضراب او اعتباره اجازة اعتيادية بل اصروا على ان يكون يوم عمل بأجر تام فاستجيب لهذا المطلب ايضا، وعاد العمال الى اعمالهم في صبيحة اليوم التالي فرحين مستبشرين بالنصر الذي حققوه.

يهود العراق في القرن التاسع عشر

دراســـــة فـــي الـــتـــآلـــف الاجـــتـــمـــاعـــي

وليد خدوري
باحث ومؤرخ

شاعت في الكتابات الغربية فكرة تصوير الطوائف اليهودية في البلاد العربية كمثال للاقلية المغتربة التي تعاني اجتماعيا واقتصاديا على السواء. بيد ان الدراسة المتأنية لسجل التاريخ توضح ان الوضع كان مختلفا تماما عما صورته وسائل الاعلام الغربية خلال العقود الاربعة الماضية. وكما تشير هذه الدراسة لوضع الطائفة اليهودية في العراق. فان ظروف هذه الطائفة المحلية ومستوياتها وتقدمها كانت شبيهة بغيرها من قطاعات المجتمع، ولولا الاثارة الدعائية للصهاينة خلال النصف الاول من القرن العشرين لتطورت الجالية الهيودية في العراق على نسق غيرها من المجموعات الاجتماعية في البلاد.

الخلفية:

من الضروري كي ندرس الطوائف الاجتماعية في العراق قبل ظهور الدولة الحديثة ان نفهم كلا من الدينامية الداخلية لهذه التجمعات وعلاقتها بالاسلام وبالسلطات العثمانية الحاكمة. ودينامية العلاقة بين الجماعات القائمة في ذلك الحين.

والقاعدة القانونية الاولى التي تحكم العلاقة بين حكومة اسلامية والجماعات غير الاسلامية داخلها – اهل الذمة – هي ان الشريعة الاسلامية تختص بشؤون المسلمين، في حين ان العلاقة بين الذميين داخل كل طائفة تحكمها شرائح ومؤسسات تلك الطائفة. وكان الزعيم الديني لكل مجموعة مسؤولا امام الخليفة الاسلامي. ونتبع وضعية الذمي الفرد من انتمائه الى طائفة تتمتع بالحماية. وقد ولد هذا النظام اثناء الامبراطوريات الاسلامية وعاش معها، واستمر طيلة العهد العثماني.

وكان من جوانب العلاقة التعاقدية بين الخليفة الاسلامي واهل الذمة تمتع هؤلاء الاخيرين بحرية العبادة، والتنقل والاقامة والتعليم. اما التزامهم فكان دفع الجزية مقابل ما يحصلون عليه من حماية، وعدم مساعدة اعداء الدولة. ولقد فرضت بعض القيود الاجتماعية لكنها في اغلب الاحوال لم تكن تنفذ. وكانت تنتهك بحرية، وتضرب مثلا على ذلك من ايام الدولة العباسية هو الخروج على القاعدة القاضية بعدم اقامة دور عبادة جديدة لغير المسلمين، فقد ذكر الحاخام بينامين بن توديلا الذي زار بغداد في عام ١١٦٨ انه كان فيها في ذلك الحين ثمانية وعشرون كنيسا يهوديا. وما كان يمكن ان يكون واحد منهم قد بني قبل الحكم الاسلامي، فقد بنى الخليفة المنصور بغداد في عام ٧٦٢. وهناك شواهد مماثلة وفيرة على هذا التساهل القانوني في غيرها من المدن.

وفي ذروة الحكم العباسي في بغداد اسهم الفلاسفة والباحثون والعلماء من كل العقائد في هذه الحضارة المزدهرة ولعب التجار اليهود – وبخاصة مجموعة الرادانية – دورا رئيسيا في التجارة الخارجية للامبراطورية، وحين انهار الحكم العربي، وحطمت الغزوات القبلية العسكرية قواعد الزراعة والتجارة والادارة العامة، عانت كل الطوائف من ذلك دون استثناء.

وسادت الحكم العثماني (١٥٣٤ – ١٩١٤) الغزوات الاجنبية والمنازعات المسلحة المحلية وادى عدم الاستقرار المزمن الى الركود: فلم تطبق برامج اجتماعية عامة حتى القرن التاسع عشر، واتبعت الاستانة (استانبول) سياسة الاهمال الكامل لمناطق العراق وعلى سبيل المثال فان اصلاحات منتصف القرن التاسع عشر (التنظيمات) لم تطبق في العراق الا بعد عدة عقود من تطبيقها في الاستانة.

غير ان الامبراطورية العثمانية اعترفت بوضعية اهل الذمة كمحميين ومنذ عام ١٣٦٢ صدرت للطائفة اليهودية (اهل الملة) فرمانات تجيز لهم بناء المعابد والمدارس، وتمنحهم حرية التنقل والعمل والاقامة وفي الوقت الذي كان اليهود يعانون فيه الاضطهاد الاجتماعي والديني في اوروبا كان كثير منهم من الدبلوماسيين واغنياء التجار والحرفيين في الامبراطورية العثمانية، بيد ان الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ظلت متخلفة في الامبراطورية بوجه عام، وفي العراق بوجه خاص، بالرغم من الاصلاحات في مجال القانون والمؤسسات في اواخر القرن التاسع عشر فلم يكن يعيش حياة الرخاء سوى عدد قليل من العراقيين في المدن الكبرى اما غالبية السكان – ويصرف النظر عن عقيدتهم – فكانوا يعانون اثار قرون من التدهور الاقتصادي والاستغلال وسوء الادارة. وكان اغلب الحكام العثمانيين يجهلون لغة البلاد وظروفها. كما كان التعليم الحديث مقتصرا على ابناء الاعيان في حين لا يتلقى غيرهم سوى تعليم ديني تقليدي. وسيطر الولاة العثمانيون على السكان المحليين باساليب تجمع بين القوة العسكرية واجتذاب الاعيان والقيادات الدينية الى حاشيتهم واسهمت الكوارث الطبيعية في تخلف المنطقة العام. فقد لقى نحو ستين في المائة من سكان بغداد مصرعهم في ربيع عام ١٨٣١ حين اجتاع المدينة الفيضان والطاعون في نفس الاسبوع.

الظروف الاجتماعية :

تاريخ اليهود في العراق تاريخ قديم يرجع الى عام ٥٨٦ قبل الميلاد ان لم يكن قبل ذلك. فمنذ ذلك الوقت، وطيلة الامبراطورية الاسلامية – لعب اليهود دورا فكريا ودينيا وتجاريا له شأنه وتشمل الانجازات البارزة خلال تاريخ اليهود في العراق تاريخ قديم يرجع الى عام ٥٨٦ قبل الميلاد ان لم يكن قبل ذلك فمنذ ذلك الوقت، وطيلة الامبراطورية الاسلامية – لعب اليهود دورا فكريا ودينيا وتجاريا له شأنه وتشمل الانجازات البارزة خلال هذه الفترة، وقبل دخول العثمانيين في العراق في القرن الرابع عشر، اكاديميات سورا، نوهدرا، بومباديتا، التلمود البابلي، مراكز اكيلارش وغيونم، اعمال "رسبونا" ، بالاضافة الى الارساليات الدينية الى مصر وشمال افريقيا وجنوب آسيا والشرق الاقصى.

والمدونات التي تسجل ظروف المجتمع العراقي بين القرن الرابع عشر والقرن التاسع عشر متأثرة غير ان اقوال الرحالة منذ القرن السابع عشر تصف بغداد كمدينة تضم مابين عشرين الف وثلاثين الف منزل، يقطن ليهود ما بين مائتين وثلاثة مائة منزل منها ، ويزودنا الرحالة في اواخر القرن التاسع عشر بارقام اكثر مدعاة للثقة، اذ يقدرون عدد ابناء الطائفة اليهودية في بغداد بخمسين الف نسمة. ويتفق هذا الرقم مع التعداد الذي اجرته سلطات الاحتلال البريطاني في عام ١٩٢٠ فقد قدر المجموع الكلي لسكان العراق في ذلك الحين، ٢,٨٤٩,٢٨٢ نسمة بينهم ٨٧,٤٨٤ من اليهود، يعيش منهم ٥٠,٠٠٠ في بغداد ١٥,٠٠٠ في الشمال و ٧٠٠٠ في البصرة.

وكان يهود العراق يشكلون جزءا لايتجزء من المجتمع وكانت ممارساتهم الثقافة والاجتماعية هي ممارسات السكان في مجموعهم: "كانت طائفة معربة تماما.. فقد كان (اليهود) يتحدثون العربية فيما بينهم، ويستخدمون العربية في شعائرهم الدينية، ويكتبون العربية بحروف عبرية في مراسلاتهم وكانت حياتهم الاجتماعية هي حياة العرب، وكذلك مطبخهم. وخرافاتهم وحتى.. الحريم" .

وكانوا ايسر حالا بالمقارنة باليهود الذين يعيشون في المجتمعات الشرقية الاخرى.

فقد وجد الحاخام اسرائيل بنيامين – الذي طاف بالمنطقة في منتصف القرن التاسع عشر –ان الطائفة اليهودية في بغداد مستقرة تماما.

"لم اجد اخوتي الاسرائيليين بأي مكان آخر من الشرق، في مثل هذه الظروف السعيدة، ولا بمثل هذه الجدارة".

وكان اغلب معتدلي الدخل اليهود يعيشون – كغيرهم من المجموعات الاجتماعية – في قطاعهم الخاص في بغداد، في حين يعيش اقرانهم من الاغنياء في بيوت مرفهة على شاطئ دجلة الى جانب الاعيان المسلمين والمسيحيين والموظفين الاتراك، وهكذا كانت الظروف الاقتصادية – الاجتماعية لليهود العراقيين تختلف من حي الى آخر في المدينة، ومن منطقة الى اخرى في البلاد، كما كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالمهنة التي يختارون، وبشكل عام كانوا اكثر اشتغالا بالتجارة، وقليلا ما كانوا يعملون بالزراعة.

وكانت التجارة مركزة في وسط العراق وجنوبه. وبخاصة في بغداد والبصرة حيث كان جزء كبير من الطائفة اليهودية يسهم في التجارة. وعملت عائلات كثيرة في التجارة الخارجية، واقامت بيوتا تجارية في فارس

سادت الحكم العثماني (1534 – 1914) الغزوات الاجنبية والمنازعات المسلحة المحلية وادى عدم الاستقرار المزمن الى الركود: فلم تطبق برامج اجتماعية عامة حتى القرن التاسع عشر، واتبعت الاستانة (استانبول) سياسة الاهمال الكامل لمناطق العراق وعلى سبيل المثال فان اصلاحات منتصف القرن التاسع عشر (التنظيمات) لم تطبق في العراق الا بعد عدة عقود من تطبيقها في الاستانة. غير ان الامبراطورية العثمانية اعترفت بوضعية اهل الذمة كمحميين ومنذ عام 1362 صدرت للطائفة اليهودية (اهل الملة) فرمانات تجيز لهم بناء المعابد والمدارس

والهند وانجلترا.
اما الغالبية فكانت من صغار تجار المفرق في المدن الكبرى، وفي كل المناطق الريفية، باستثناء بعض الاقاليم في اواسط حوض الفرات.
وفي الشمال كان هناك عدد قليل من التجار اليهود بين القبائل الكردية يعملون كمستشارين للاغوات والامراء. اما غالبيتهم فقد كانت تعمل في الزراعة. كما كان هناك عدد من كبار الملاك يعمل لديهم فلاحون هم انفسهم من اليهود. غير ان الاغلبية كانت تعيش في الجبال المنعزلة في نفس المستوى الاقتصادي – الاجتماعي الذي كان يعيش فيه سائر الفلاحين في العراق. وكانوا مدججين بالسلاح. يدفعون مبالغ سنوية للقبائل الاقوى مقابل الحماية، ويؤدون خدمات لكبار الملاك مثل شق القنوات وبناء المساكن.
كما كان هناك كبار ملاك يهود في اماكن اخرى من العراق مثل البصرة والحلة وديالى حيث كانوا يمتلكون بساتين النخيل وحدائق الفاكهة وحقول الحبوب. وفي المدن الاصغر مثل عانة وهيت كان بعض اليهود تجارا وكبار ملاك ارض في نفس الوقت.
وكان بعض افراد الطائفة اليهودية يعملون ايضا في الصناعات البدائية التي كانت قائمة في ذك الحين: النسيج وصناعة الحرير والجلود. وكانت منتجاتهم تستهلك محليا فيما عدا بعض صادرات الحرير من كردستان.

القيادة السياسية:

وطيلة هذه الفترة – حين كانت الادارة المركزية ضعيفة او غير موجودة – كانت الجماعات الطائفية في بغداد خاضعة للنفوذ السياسي والديني المباشر لبضع عائلات حصلت على سلطاتها بحكم النسب او احتراما لعلمها وثروتها وكانت هذه العائلات نتيجة لقلة عددها ولامتيازاتها الخاصة – مثل الاعفاء من الضرائب ومن الخدمة العسكرية – تتنازع فيما بينها، وتدبر المكائد لبعضها البعض. وكثيرا ماكانت العائلة ترتبط بوال معين، بتأرجح مصيرها مع تأرجع مصيره وكانت علاقتها بالطوائف التي تمثلها علاقة استبداديةوانتشرت حوادث الرشوة والمظالم. وكجزء من حاشية الوالي كانوا ينفذون رغباته ويقتسمون الاموال التي يوزعها.
وكانت اسهامات هذه العائلات في الدراسات الدينية والعلمية قليلة الشأن والمدارس التي يديرونها كانت تخرج رجال دين موظفين، رجعيين في نظرتهم الى كل من العالم الروحي والعالم الدنيوي.
وكان الحاخام باشي هو الممثل الديني الاكبر للطائفة اليهودية. اما حاخام باشى الاستانة فقد كان ممثل كل يهود الامبراطورية في مجلس الدولة وكان مسؤولا عن تحديد نسبة الضرائب وجبايتها من الطائفة. والتصديق على تعيين الحاخامات الادنى مرتبة. وفي بغداد كان ممثلو الطائفة المحلية يختارون الحاخام باشاى، ويصدق على اختياره الوالي وحاخام باشى الاستان غير انه مع الزمن انعزل عن الطائفة، واصبح صنيعة للوالي اكثر منه ممثلا للطائفة، وادى هذا الى نزاع كبير داخل صفوف الطائفة اليهودية في بغداد عام ١٨٧٩ . فقد ظل ساسون بن ايليا سوميخ، حاخام باشي في ذلك الوقت، خمسا وثلاثين عاما في منصبه، وكان يتمتع بتأييد الوالي وحاخام باشي الاستانة. وكان من دواعي تذمر الطائفة ضده اختلاس الضريبة العسكرية ووجهت اغلبية الطائفة اليهودية – وبينهم عدد من الحاخامات الادنى مرتبة – عريضة الى الوالي يطلبون فيها عزله. وشعر الوالي بانه مضطر الى الاستجابة لهذا الطلب على الرغم من صداقته لسموحة. غير ان حاخام باشي الاستانة الغى القرار. الا ان عودة سموحة الى منصبه كانت قصيرة الاجل. فقد ادى مسلكه بالطائفة اليهودية الى ارسال برقية الى الاستانة، واخيرا تدخل السلطان نفسه وفرض عزل سموحة. وفي ذلك الوقت كان النزاع قد ادى الى انقسام كبير داخل صفوف الطائفة اليهودية في بغداد.
والى جانب الحاخام باشاى كان هيكل السلطة داخل الطائفة اليهودية يشمل بيت الدين – الذي يفصل في المنازعات داخل الطائفة – في حين كان الحاخام يحدد العقوبات. وكان بيت الدين يتألف عادة من افراد العائلات اليهودية التجارية الثرية. والواقع ان عائلة بمفردها كثيرا ما كانت تتوارث كل هذه المناصب قرونا باكملها.
وكان "الناسي" هو الممثل الدنيوي للطائفة، وكثيرا ما كان اغنى تجارها كما كان ايضا صاحب بين مال الوالي او مستشاره المالي.
ويدير شؤون الطائفة المالية – واساسا جباية الضرائب – مجلس الملة الذي تنتخبه الطائفة ، ويتألف من عشرة اعيان يشرفون على البرامج التعليمية والاجتماعية للطائفة.
وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كان "ناسى" بغداد – وليس الحاخام باشى – هو الذي يسيطر على السلطة السياسية الفعالة في الطائفة. وقد توارثت عائلة ساسون هذا المنصب جيلا بعد جيل.
وكانت تربطها بالاستانة روابط وثيقة. وحين وصل داود باشا – آخر الولاة المماليك – الى السلطة في بغداد عام ١٨١٧ كان عليه ان يعتمد على آل ساسون للحصول على فرمان من الخليفة. غير ان هذا العمل بالتحديد اثار العداء لآل ساسون داخل حاشية الوالي، الامر الذي ادى في النهاية الى هجرة فرع من العائلة الى الهند ثم الى انجلترا فيما بعد. وفي العقود التي اعقبت "التنظيمات" ظل اغنى تجار المدينة يشغل منصب "الناسى" لكن السلطة السياسية عادت الى الحاخام باشاى.

الديانة:

كان يهود العراق جميعا من طائفة الحاخاميين، الذين يتمسكون تماما بالتلمود. ومع التدهور الثقافي داخل الطائفة والبلد عموما اثناء العهد العثماني، اصبحت الممارسات الدينية مثقلة بالطقوس وبخاصة في المناطق الريفية.
وكانت هناك بعض الصلات باليهود الاجانب اثرت على الممارسات والمعتقدات الدينية لليهود العراقيين. وكانت القبالية والصوفية منتشرتين بوجه خاص بين الطوائف اليهودية في اوروبا الشرقية وتركيا وصفد وفلسطين.
وكانت صلات اليهود العراقيين قوية بشكل خاص مع هذه الجماعات، كما كانت مطبوعاتهم الدينية مألوفة في بغداد. وفضلا عن هذا فقد شجع الحاخام يوسف حاييم، احد القادة الروحيين الرئيسيين في بغداد من عام ١٨٥٩ الى عام ١٩٠٩ انتشار هذه الممارسات.
وكان للحاخام عدد كبير من الاتباع باعتباره رجلا مثقفا وثريا وخطيبا مفوها. وواضعا لاثنين وثلاثين من كتب المواعظ والتعليقات والصلوات القبالية والاشعار والطقوس.
التغيرات في القرن التاسع عشر:
ادى ادخال "التنظيمات" في القرن التاسع عشر الى تحول في الوضعية الرسمية لاهل الذمة. فقد منح المرسوم الهمايوني عام ١٨٥٦ – وبدرجة اقل المرسوم الشريف لعام ١٨٣٩ – حقوق المواطنة المتساوية لكل شعوب الامبراطورية بما في ذلك ضمان تأمين الحياة والملكية، والالتحاق بالوظائف المدنية والعسكرية، والمساواة في الضرائب، وحرية العبادة، والمحاكم الخاصة والمختلطة، والمساواة في حق الشهادة ولم يعد النظام الطائفي قائما الا من حيث استمرار السلطات الدينية في السيطرة على امور مدنية مثل الزواج والميراث.
ومنح دستور ١٨٧٦ حق التمثيل لاصحاب الملكية في المجالس والهيئات التشريعية المحلية والاقليمية والامبراطورية، وكان لهذه المؤسسات الجديدة اهمية رمزية كبيرة رغم ان السلطات كانت هي التي تنتقي هؤلاء النواب: ورغم ان وظائفهم كانت محدودة. وكان من بين النواب اليهود مناحيم دنيال احد نواب بغداد الثلاثة في اول برلمان عام ١٨٧٧، وساسون حزقيال الذي شغل هذا المقعد في برلمان عام ١٩٠٩، ويوسف كركس عضو المجلس الاداري في بغداد عام ١٨٧٢. ويوسف شنطوب عضو المجلس عام ١٨٨٨. وكان هؤلاء جميعا من اثرياء التجار فيما عدا ساسون حرقيال الذي كان موظفا بوزارة التجارة، ثم اصبح بعد اول وزير مالية للعراق، واحتفظ بهذا المنصب طيلة سنوات.
وفي العقد الاخير من القرن التاسع عشر بدأ التعليم اليهودي يتمتع بمساعدات اجنبية لا من الطوائف اليهودية العراقية الثرية في الهند فحسب، ولكن ايضا عن طريق ، الاليانس الاسرائيلي العالمي، في باريس، والجمعية الانكلو – يهودية في لندن، لبناء مدارس ابتدائية وثانوية، وقد سبقت هذه المدارس كل من نظم التعليم العسكري والمدني التي بدأت في عام ١٨٧٠ وتخرج منها نحو ستين بالمائة من كل طلاب المدارس الثانوية في العراق قبل بداية القرن الحالي.
وقد اقامت، الاليانس، والجمعية الانجلو يهودية اول مدرسة للبنين في عام ١٨٦٥، واقيمت مدرسة للبنات – هي اول مدرسة من نوعها في العراق – في عام ١٨٩٧، ولم يتمكن من تلقي التعليم الحديث من العراقيين غير اليهود في نفس الفترة الا ابناء الاعيان وابناء عدد من ضباط الجيش. ويكشف تعداد عن التعليم اجرى في بغداد عام ١٩١٣ عن الارقام التالية:
وبالرغم من تأثير اوروبا الغربية على نظام التعليم اليهودي العراقي فقد ظل العمل الفكري للطائفة مقتصرا على المواضيع الدينية، وكانت الكتب والصحف المتوفرة خلال القرن التاسع عشر تأتي اساسا من بولندا وروسيا، وكانت اول دار طباعة يهودية – اقيمت في عام ١٨٥٥ – تصدر في الاماس كتبا في الموضوعات الدينية وبخاصة القبالة والزوهار. وفيما عدا ذلك كان من بين ما اصدرته ترجمة عربية لرحلات الحاخام بنيامين بن توديلا الاثنتي عشرة وبعض مؤلفات موسى بن ميمون. وظهرت صحيفتان: هادوير (١٨٦٨ – ١٨٧٠) بالعبرية وجيشورون (١٩١٠) بالعربية والعبرية. وكانتا تتناولان شؤون الطائفة المحلية.
وطيلة هذه الفترة لم تسجل سوى بضعة حوادث من التوتر بين الطائفة اليهودية وغيرها من الجماعات وكانت هذه الاحداث القليلة ضئيلة الشأن. وعلى سبيل المثال ثار نزاع في عام ١٨٦٠ حين اوقفت السلطات – دون سبب محدد – الحج الى صريح حزقيال على مقربة من بغداد، وتمت تسوية المسألة بعد تدخل الجمعية الانجلو – يهودية لدى السلطان. وفي عام ١٨٨٩ بيع ضريح خارج بغداد يسمى النبي يوشع – وهو احد اضرحة حاخامات بغداد – لاحد المسلمين خلال النزاع بين ساسون سموحة الحاخام السابق ومجلس الملة وخلال نفس العام توفي احد الحاخامات وثار النزاع حول ملكية المكان. والقى القبض على الحاخام باشاى وبضعة اشخاص آخرين. وتمت الاتصالات من جديد بالجمعية الانجلو – يهودية وهيئة النواب اليهود في لندن، الذين اتصلوا بدورهم بالسفير البريطاني في الاستانة . وادى هذا الى عودة المكان للطائفة بالرغم من البيع السابق، واطلق سراح الحاخام باشاى واتباعه وعزل السلطان والي بغداد.
واستمرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية لليهود العراقيين في الازدهار طيلة النصف الاول من القرن العشرين، وانتشر التعليم بين الشباب، وتضاعف عدد الطلاب، والتحقوا بالمعاهد العامة فضلا عن المدارس اليهودية الخاصة. وزادت عددهم في هذه المدارس الاخيرة من ٥٨٨٦ من الطلاب والطالبات في عام ١٩١٣ الى ١١٤٣٥ في عام ١٩٣٥. كما ارتفع عدد المعابد اليهودية في بغداد من ٢٩ معبدا عام ١٩١٥ الى ٤١ معبدا عام ١٩٣٦.
وازدهرت الطائفة اقتصاديا ايضا وبخاصة مع ظهور الدولة الجديدة، وزيادة النشاط التجاري. وبقدر تقدير اصدره جوزيف شيئتمان من الوكالة اليهودية. النشاط التجاري اليهودي في العراق قبل الحرب العالمية الثانية كما يلي:
الواردات ٩٥٪ في أيد يهودية.
المقاولات ٩٠ ٪ في ايد يهودية
الصادرات ١٠٪ في ايد يهودية.
غير ان عنصر الاضطراب الرئيسي مع صيغ فلسطين بالصيغة الصهيونية وتغلغل الوكالة اليهودية بين صفوف الطائفة اليهودية العراقية في الاربعينات. وقد نظم عملاؤها الخلايا الصهيونية، ووضعوا اسس الهجرة في الفترة الاخيرة من العقد، بعد ان واجهوا معارضة شديدة من الطائفة ذاتها في بداية العقد، ودبروا عمليات التخريب والاضطرابات الداخلية. والتوتر عمدا بين افراد الطائفة، وبينهم وبين بقية السكان، ومع السلطات، لخلق جو داخلي ودولي ملائم لحملات الهجرة، ويتضح هذا بجلاء في الفقرة الختامية الثانية لتقرير الوكالة اليهودية كتبه احد عملائها عند عودته من العراق.
"... لايمكن ان تقوم هجرة واسعة من العراق في المستقبل المنظور (اوائل الاربعينات)، وينبغي توجيه جهودنا الاساسية الى زيادة عدد كوادر الدفاع التي اقمناها هناك وتدريبها التدريب الملائم، وعلا هؤلاء الكوادر ان يواصلوا في نفس الوقت النشاط التعليمي، ويمهدوا للهجرة الى فلسطين مهما كان الثمن، وايا كانت الوسيلة".
وينتهي بنا التسجيل الوجيز سابق الذكر لتاريخ اليهود العراقيين الى النتائج التالية:
١- كانت ظروف الطائفة اليهودية العراقية – اذا ما درست في اطار عملية تطور المجتمع العراقي في القرن التاسع عشر، والظروف الاجتماعية العامة التي كانت سائدة عندئذ – طيبة بالمقارنة مع بقية السكان. وبالرغم من الوان الاستبداد والفساد التي سادت في البلاد طيلة القرن، فقد توفرت لهم حرية العقيدة والاقامة والعمل والتنقل.. وفضلا عن ذلك، لم يحدث سوى قدر قليل من التوتر – اذا كان قد حدث ثمة توتر – بين الطائفة اليهودية وغيرها من الفئات الاجتماعية اثناء فترة التغيرات السياسية العاصفة التي جرت بالعراق خلال نفس الفترة. وبالطبع كان هذا الوضع على طرف نقيض مما كان عليه الوضع في اوروبا في ذلك الوقت.
٢- استفاد شعب العراق من فترة الاصلاحات في الامبراطورية العثمانية وبدأ تعليم الصغار منذ ذلك الحين على مستوى اوسع من ذي قبل.. وادى هذا التوسع في نظام التعليم بالاضافة الى الاتساع التدريجي للتجارة، والتطور السريع للاقتصاد، الى توفير فرص اجتماعية واقتصادية جديدة للسكان في مجموعهم، وبرز يهود العراق في هذين المجالين من مجالات التطور.

إضـــراب الـبـصـرة عـــام 1931 وآثـــاره

ان السبب المباشر لاضراب البصرة عام 1931 هو اقرار لائحة قانونية لرسوم البلديات صدرت في الثاني من حزيران 1931 في عهد وزارة نوري السعيد الاولى وبموجبها فرضت رسوم جديدة على اصحاب الحرف التي تضمنها القانون، وقد علمت وزارة الداخلية، كما يقول وزير الداخلية في مذكراته (مزاحم الباججي) منذ 25 حزيران ان هناك حركة لاحداث اضراب احتجاجا على هذا القانون، وحدد يوم 30 حزيران موعدا للاضراب، وقد حدث اضراب خفيف في اليوم ذاته في الحلة وديالى، وتفاديا للاضراب، سعى وزيرالداخلية (الباججي) للالتقاء بارباب العمل، وكما يقول: "عرفتهم حقيقة القانون وطلبوا مني ان اوعز الى الامانة ان تستعمل صلاحياتها وتقترح التخفيضات والشطب لاصادق على ذلك واخفض واشطب ماراه مناسبا.

د. فاروق صالح العمر
مؤرخ عراقي

وقد قامت الامانة بالامر ونشرت بيانا عن ذلك، وبالفعل اعلن اصحاب المهن انهم ارتاحوا لقرارها وطلبوا الكف عن الاضراب وكان في يومه الثالث".

يشير الباججي الى ان المعارضة واياد خفية عملت على تهديد من نكص عن الاضراب، ولهذا بقيت الامور على هذا الحال والاضراب مستمر في معظم مناطق العراق الى ان رجع رئيس الوزراء نوري السعيد من الخارج يوم ١٥ تموز واصدر نداءا الى الشعب العراقي طمأنه بانه سوف يعمل من اجل اتخاذ التدابير المطمئنة والباعثة على الارتياح العام، غير انه في اليوم التالي، وبعد اجتماع مجلس الوزراء، صدر المرسوم (٩٠) في ١٦ تموز ١٩٣١ بمواده الست وفيه ردع لما جرى من حوادث ضمن حالة الاضراب.

وعلى الرغم من ان اضراب البصرة جاء متأخرا عن الاضرابات في جميع انحاء العراق الا انه كان اضرابا شديدا اتسم بطابع العنف. ويقول سليمان فيضي: "ان الاضراب اتخذ فور اعلانه شكلا غير سلمي، فسار المضربون في الشوارع في شبه مظاهرات مسلحة واخذوا يتحرشون بالمؤسسات الحكومية" وقام المتظاهرون بمحاصرة سيارة المتصرف وكسروا زجاجها مما جعله يلتجئ الى دار العالم الديني عبد الله الموسوي. بعدها طلب المتصرف من المتظاهرين ارسال مندوبيهم للمفاوضة فاختاروا سليمان فيضي ومحمد زكي المحامي على الرغم من انهما لم يكونا من المشاركين في هذا الاضراب الا انهما من الشخصيات الوطنية في البصرة ولهما مكانة اجتماعية واضحة في المدينة.

وقد استمر الاضراب في شدته وعنفه في البصرة لمدة ثلاثة ايام ثم انتهى على اثر تعديل بعض مواد المرسوم .

ذيول الاضراب:

لماذا تأخر الاضراب في البصرة كل هذه الايام؟ لقد بدأ من الحلة وديالى وبغداد منذ الايام الاولى لشهر تموز وبعدها في كل انحاء العراق ما عدا البصرة التي بدأ فيها يوم ٧/١٥ واستمر لمدة ثلاثة ايام. وكانت اياما عنيفة جرى فيها تخريب واعتداء وتجاوز ضد المراكز الحكومية وكذلك ضد شخصيات حكومية، بدءا بالمتصرف ومدير الشرطة واطلق في الاضراب الرصاص ضد المتظاهرين نتيجة للتجاوزات والتصرفات غير الموزونة.

اصدرت محاكم البصرة احكامها على الكثير من الذين اتهموا بالتحريض او المشاركة في الاضراب من اهالي البصرة وابي الخصيب والزبير. ولكن النفي لم يشملهم، وقد استأنف هؤلاء الدعاوى بعدئذ وتم اطلاق سراحهم، كما جاء في الوثائق المتعلقة بالمحاكم.

اما الشخصيات التي نفيت فهي التي لم تحاكم ولم توجه له تهمة معينة وانما القي القبض عليها في البصرة بعد وصول نوري السعيد رئيس الوزراء اليها وبعد ان تعذر عليه – اي على رئيس الوزراء – هذا الاجراء اتصل قبل يوم وصوله بآمر حامية البصرة (ابراهيم الراوي) وطلب اليه القاء القبض على (سليمان فيضي) الان انه اعتذر عن ذلك، بل كان مخالفا لرأي رئيس الوزراء بدعوى ان (سليمان فيضي) قام باعمال حميدة خلال الاضراب وليس التحريض عليه.

مع ذلك، وبعد وصول رئيس الوزراء الى البصرة تم القاء القبض على (فيضي وجماعته) وذلك في يوم ٢٠ تموز ١٩٣١ وبقي في التوقيف حتى يوم ٢٤ تموز رغم امتناع المحكمة عن تمديد مدة التوقيف

ولنتابع مع سليمان فيضي في مذكراته رحلة النفي هذه:

"وفي مساء ٢٤ تموز بينما كنت اتناول عشائي مرتديا ملابس النوم اتاني مدير الشرطة واخبرني بعزمه على نقلي الى مكان ملائم تتوفر فيه وسائل الراحة والنظافة فطلبت منه ان يمهلني كي ارتدي ملابسي فاجاب بان المكان قريب ولا حجاة بي الى ذلك اما امتعتي فوعد بنقلها بعد ذلك. فتوهمت بانه صادق في دعواه. ولما خرجنا الى فناء البناية احاط بي رجال الشرطة المسلحون واقتادوني الى سيارة مسلحة وجدت فيها رفاقي الموقوفين الخمسة، وهم الحاج ابراهيم البجاري – وطه الفياض – وحبيب الملاك – وحسن الناصح – وكاظم الحاج شويش.

وسارت بنا السيارة ومن امامها وخلفها سيارات مسلحة الى محطة القطار. وهناك اركبنا في الدرجة الثالثة برفقة اثني عشر شرطيا ومفوضا، وسار بنا القطار ونحن لانكاد نصدق ما يجري حولنا ولا نعلم ما يراد بنا. وكنا جميعا بملابس النوم، ولم يكن احدنا ليحمل معه فلسا واحدا ولم يكن لنا زاد او ماء للطريق.. وما هي الا ساعات حتى علت وجوهنا الاوساخ والاتربة واشتد بنا الجوع والعطش فتصدق علينا رجال الشرطة بكسر من الخبز ونتف من الرقي وجرع من شربة مكسورة".

هذا ما يرويه فيضي في مذكراته عن المعاناة التي لاقاها، بل انه اخذ يراجع معاناته الشخصية ومواقفه السياسية واشتراكه في الجمعيات السرية قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها وحتى في فترة الحكم الوطني، وما قدمه للقضية العربية والعراقية، ويأسف للحالة التي وصل اليها.

وكان رفاق فيضي خمسة الا ان هناك اثنين من المنفيين لم يذكرهما فيضي في مذكراته، وهما عبد الرحمن الموهلي وسليمان الابراهيم وكانا منفيين ايضا معهم.

وهكذا بلغ عدد المنفيين ثمانية اشخاص وزعوا على ثلاث مدن وكالاتي:

١- عانة في الرمادي: سليمان فيضي – وحسن الناصح – وحبيب الملاك – وكاظم الحاج شويش.

٢- اربيل: عبد الرحمن الموصلي – وسليمان الابراهيم.

٣- بغداد: طه فياض العاني – وابراهيم البجاري.

وكان الابعاد الى عانه وكذلك الى اربيل يعد نفيا سياسيا، اما الابعاد الى بغداد ففي اعتقدي انه كان امتيازا خاصا، ويبدو ان ابعاد طه الفياض وابراهيم البجاري الى بغداد جرى بفعل الوساطات التي لعبت دورا في منحهم هذا الامتياز في حين ان الجماعة التي ارسلت الى اربيل او الى عانه في الرمادي قد عانت الكثير، ويذكر فيضي عن رحلته الى عانه:

"وصلنا بغداد فاركبنا في سيارة مسلحة الى الرمادي حيث تناولنا طعاما خفيفا للمرة الاولى بعد ثلاثين ساعة، واستأنفنا السير الى عانة فاستقبلنا القائممقام شاكر محمود، المعروف بشاكر (قنبر علي) واخبرنا باننا سنبقى فيها مبعدين حسب قانون العشائر، وتصدق علي بدشداشة وملابس داخلية".

وكانت الاخبار قد وصلت الى اهالي عانه وراوه الذين استقبلوا المبعدين بالاكرام والولائم، وكان المحامي احمد الراوي في بغداد قد اوصى احد اقربائه بان يقدم كل المساعدة الى سليمان فيضي.. ونتيجة لهذا الموقف من اهالي راوه وعانه فقد منع نوري السعيد السكان من الاختلاط بالمبعدين بل انه نقلهم الى بناية السراي العثماني القديم المهجور وفضوا في هذا المنفى اكثر من ثلاثة اشهر (حوالي ١٠٠٠ يوم).

وبعد ان هدأت الاوضاع بدأت الحالة تعود الى مجراها الطبيعي وخفت حدة الوضع السياسي الداخلي وبدأت المحاكم الاستئنافية تخفف من احكامها. وقد شمل ذلك الكثير من ابناء البصرة وابي الخصيب والزبير اذ كانت قد صدرت بحقهم عقوبات معينة. وكذلك شمل التخفيف المبعدين ولهذا قررت الحكومة ارجاعهم الى مناطقهم السابقة – الى البصرة.

وقبل ان انتقل الى فترة جديدة في البحث احب ان تعرض الى شخصية سليمان فيضي حول الموضوع: فهل كان فيضي احد من حرض وكان سببا في حركة الاضراب؟ واجيب: لا، لان الرجل في مذكرته والتي كتبها بعد عشرين سنة من حادثة الاضراب، روى الحكاية كما هي، ولم تكن له يد فيها وانما كانت تصرفاته كما اعتقد (بعد قراءة مذكراته) ناجمة عن حبه للزعامة وحبه للظهور، فقد كان يخطب في الجماهير واصبح ممثلهم رغما عنه امام متصرف البصرة واستطاع ان يخلص مدير الشرطة من الاهانة التي لحقت به، اضافة الى انه كان من مؤيدي ياسين الهاشمي وحزب الاخاء الذي كان يقود المعارضة لسياسة نوري السعيد وكذلك للمعاهدة العراقية البريطانية لسنة ١٩٣٠ – كل هذه الاسباب كانت عاملا في نفيه الى خارج البصرة، ويقول فيضي:

"لقد ساء (الباشا) ان يعلم بانتسابي الى حزب الاخاء الوطني ومساءه ان اكون معارضا للمعاهدة التي ابرمها مع الحليفة العزيزة".

عودة المنفيين:

يبدو ان آخر كتاب وقعه مزاحم الباججي وزير الداخلية قبل استقالة وزارة نوري السعيد الاولى، هو ما يتعلق بالمنفيين، ففي يوم ١٩ تشرين اول ١٩٣١ وهو يوم تأليف وزارة نوري السعيد الثانية التي ابعد عنها مزاحم الباججي، صدر كتاب سري ومستعجل جدا معنون الى متصرفي الوية الدليم واربيل وبغداد:

"بناء على موافقة سلطة لواء البصرة وحصول القناعة لدينا بان المدة التي قضاها كل من المنفيين كافية فانا امر بترخيصهم ورجوعهم الى محال سكناهم".

ثم دونت اسماء المنفيين الثمانية ومكان وجودهم، ويبدو ان الكتاب السري هذا جاء ردا على البرقية التي ارسلتها متصرفية لواء البصرة المرقمة (٦٦٢) والمؤرخة في ١٨ تشرين اول ١٩٣١ والتي لم اعثر على نصها وانما وجدت الرقم في ذي كتاب وزارة الداخلية المذكور انفا.

وقد كتب متصرف لواء البصرة ملاحظاته عن الكتاب الوزاري الى التحريرات لابلاغ الشرطة وقائممقام شط العرب، واتبعه المتصرف بكتاب سري، وفي الوقت الذي يشير فيه الى تنفيذ كتاب الوزارة السري السابق ذكره فانه امر باحالة احد المنفيين (سليمان الابراهيم) حال عودته للمثول امام محكمة جزاء البصرة لاتهامه بالاشتراك في اضراب الزبير عام ١٩٣١، كما انه اعطى صورة من الكتاب الى رئيس بلدية البصرة مفيدا بان اثنين من المنفيين هما عضوان في المجلس البلدي في البصرة.

وهنا اود ان اعود الى سليمان فيضي في مذكراته (في غمرة النضال) بعد عودته الى بغداد، ويمكن لسائل ان يقول: لماذا ركزنا على فيضي دون غيره؟ واقول: لان سليمان فيضي اولا، هو الوحيد الذي دون مذكراته وكتب عن هذا الحدث الذي المه في الصميم، وثانيا، لان الكتب الرسمية والبرقيات التي تبودلت بين بغداد والبصرة كانت تؤكد في حال التكلم عن المنفيين في البدء بعبارة (الحاج سليمان فيضي ورفقاؤه). وعليه، فان فيضي كان يعتبر اهم شخصية بين المنفيين الذين نحن بصدد التحدث عنهم.

فعند عودة المنفيين الى بغداد استقروا فيها لبعض الوقت وكانوا محل احتفاء المعارضة وعلى رأسهم ياسين الهاشمي وعلي جودة الايوبي وعبدالاله حافظ – كما يذكر سليمان فيضي – وكان من المؤمل اقامة حفل شاي باسم الشبيبة البغدادية ووزعت بطاقات الدعوة على عدد من رجال الاحزاب ولكن نوري السعيد عمل على افشال الخطة ونجح في ذلك بعد ان اصدر امرا الى مديرية شرطة بغداد بالغاء الحفلة اولا وتسفير المنفيين الى البصرة عن طريق

العمارة، وهكذا فشلت حركة المعارضة في بغداد التي كانت تسعى الى ان تكون مظاهرة سياسية معارضة لسياسة نوري السعيد ووزارته الثانية.

اجراءات رسمية:

يبدو ان ما لاقاه المنفيون في بغداد من احتفاء قد وصلت اخباره الى ابناء البصرة، وعليه فقد كانت هناك نية في التحرك للاحتفاء بقدوم هؤلاء الى البصرة، مما اربك السلطات فيها تخوفا من ان يحدث فيها ثانية ما حدث ايام الاضراب في تموز ١٩٣١. ولهذا بعث المتصرف ببرقية رمزية برقم (٦٨٣) سري في ١٩٣١/١٠/٢٤.

بغداد – داخلية

لدى البعض فكرة تكريم المبعدين عند وصولهم البصرة بالمظاهرات وهنالك فئة اخرى تصفه هذه الفكرة وتسعى (باهانتها). ان الامر من كل وجوهه يخل بالنظام فاقترح اما ان تحمل وزارتكم المبعدين على الوصول للبصرة (متنكرا) بدون سبق اخبار ذويهم واصدقائهم واما الموافقة على اخذهم من محطة الشعيبة وادخالهم البصرة سرا وذلك صونا لكرامتهم.

– المتصرف–

اذن، فالاقتراح من متصرف البصرة بارسال المبعدين من بغداد بواسطة القطار وعند محطة الشعيبة التي هي آخر محطة قبل المحطة النهائية في المعقل، على ان تقوم الشرطة باخذهم وادخالهم البصرة سرا، وقد وافقت وزارة الداخلية على هذا الاقتراح ببرقية رمزية ايضا.

متصرف البصرة

برقيتكم من ٦٨٣ نوافق على اقتراحكم باخذهم من الشعيبة وادخالهم البصرة سرا.

داخلية / رقم فوق العادة

وبموجب هذه الموافقة وجه متصرف البصرة كتابا الى مديرية شرطة البصرة لاتخاذ الاجراءات اللازمة.

متصرفية لواء البصرة / قلم التحرير

العدد س ٦٨٨ في ١٩٣١/١٠/٢٥

سري للغاية وشخصي

مديرية شرطة البصرة

م/ المبعدون

بمناسبة تقرر اعادة المبعدين الى البصرة فقد احست هذه المتصرفية بعزم البعض على تكريم اولئك المبعدين عن طريق المظاهرات عند وصولهم البصرة، وهناك فئة اخرى تسفه هذه الفكرة وتسعى للتنديد بها. وبما ان الامر من كل وجوهه مخل بالنظام طلبنا الى وزارة الداخلية ببرقيتنا الرمزية ٦٨٣ والمؤرخة في ١٩٣١/١٠/٢٤ الموافقة على اخذ المبعدين من محطة الشعيبة وادخالهم البصرة سرا وذلك وصونا لكرامتهم من العبث، ووافقت وزارة الداخلية ببرقيتها الرمزية (فوق العادة) والمؤرخة في ١٩٣١/١٠/٢٤.

لهذا نرجو ان تتخذوا الاهيمة الكافية لاخذ المبعدين من محطة الشعيبة فور وصولهم هناك وادخالهم البصرة سرا واعلامنا بنتيجة ما تتخذونه من التدابير حالا.

متصرف البصرة

بل وصلت برقية رمزية جديدة في اليوم ذاته بتوجيه انذار الى من كل يقوم بالتظاهر.

وزارة الداخلية سري ٣٢٣٨ في ١٩٣١/١٠/٢٥

متصرف البصرة

انذروا تحريريا بتطبيق المادة ٤٠ من قانون العشائر على كل من ترونه ينوي اقامة مظاهرة او اجراء اي حركة مخلة بالامن والنظام ومقلق للهدوء عند عودة المبعدين الذين امرنا بتسفيرهم فورا وستبرق لكم متصرفية بغداد بسفرهم، نؤيد برقيتنا المذكورة ونرجو العمل بموجبها.

داخلية.

وقد وجه الانذار من قبل متصرفية البصرة بدون تحديد لمن وجه اليه الانذار.

متصرفية لواء البصرة

قسم التحرير

التاريخ ١٩٣١/١٠/٢٥

العدد: بدون

الى..

انذار

لقد اتصل بهذه المتصرفية بانكم تنوون اقامة المظاهرات المخلة بالنظام والامن العام وذلك بمناسبة عودة المبعدين. وبما ان هذه الحركة مما تولد الخروج على النظام فاقتض انذاركم بهذا واعلامكم بانه ممنوع نهائيا الظهور باي مظهر من شانه الاخلال في السكينة والنظام وسوف تطبق المادة (٤٠) من نظام العشائر بحق من يخالف احكام هذا القرار.

متصرف لواء البصرة.

ولا ادري هل اعلن هذا الانذار او وجه الى احد لاني لم اعثر على اية اوراق تثبت ان المتصرفية قد وجهت الانذار الى احد. هذا من ناحية وان التهديد بالمادة (٤٠) من نظام العشائر دلالة على الضعف وان كانت قد نجحت في تطبيقها بدون حق وكانت مخالفة واضحة لان مدينة البصرة لايطبق عليها مثل هذا القانون لانها مدينة حضرية وانها اضعف مدينة في المحتوى العشائري. ولنعد الى المنفيين وهم في بغداد، وكما قلنا كان من المفروض ان تقوم المعارضة بالاحتفاء بهم ولكن خوف الحكومة من تطور الموضوع دفع بها الى ان تامر باتخاذ الوسائل الممكنة لنقل المنفيين بالسيارة الى البصرة، عن طريق العمارة والقرنة، وبذلك استبدلت فكرة النقل بالقطار كما تم في المراسلات السابقة بين متصرف البصرة ووزارة الداخلية.

تصرفية البصرة ١٩٣١/١٠/٢٥

١٣٢٠٥ – تحرك الحاج سليمان فيضي ورفقاؤه لطرفكم عن طريق العمارة في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر.

متصرف بغداد

وقد تم سفر المبعدين بعد الظهر، ويقول سليمان فيضي:

"وصلنا العمارة ليلا فاستقبلنا الشيخ محمد العريبي ودعانا لنتاول العشاء والمبيت في داره ولم نكد نفرغ من العشاء حتى جاءنا علي خالد الحجازي مدير الشرطة واخبرنا باوامر وزارة الداخلية التي تقضي السفر حالا الى البصرة.

وكان متصرف البصرة قد ارسل برقية رمزية الى الداخلية في بغداد.

داخلية / بغداد ١٩٣١/١٠/٢٦

بعد اتخاذ الترتيب الموافق مع شرطة العمارة ليلا ارسلت احد المعاونين الى القرنة لاخذ المبعدين من هناك وادخالهم البصرة صباحا.. وقد انتهى كل شيء بدون وقوع اي حادث.

متصرف البصرة

يقول فيضي:

"وصلنا البصرة قبل بزوغ الفجر وكانت ترافقنا من القرنة الى البصرة سيارة معاوني الشرطة فاوصلوا كلا منا الى داره."

ثم يضيف فيضي: "وقد علمنا بعد ذلك ان الغرض من تعجيل وصولنا الى البصرة كان للحيلولة دون استقبالنا من قبل الاهالي استقبالا شعبيا خاصة بعد ان علم المسؤولون ان في نية اصحاب سيارات الاجرة التبرع بسياراتهم لركوب المستقبلين احتفاء بمقدمهم".

الخلاف بين الشرطة والمحاكم

صاحب الاضراب الذي حدث في البصرة في تموز ١٩٣١ استعجال الشرطة في اطلاق النار على المتظاهرين مما ادى الى جرح الثير من الناس، ولهذا اصدرت محكمة جزاء البصرة حكمها على مجموعة من الشرطة لانهم اساؤا استعمال سلطاتهم. وقد صدر امر توقيف افراد الشرطة بعد حوالي شهر من الاضراب، اذ صدرت الاوامر بتوقيف على اربعة منهم في ١٩٣١/٨/١٨ وتوقيف ثلاثة اخرين في ١٩٣١/٩/٧ وصدرت عليهم احكام مختلفة، وقد استأنف افراد الشرطة في محكمة التمييز الاحكام التي صدرت بحقهم الا ان ذلك لم يخفض الحكم عليهم.

والذي اثار موضوع اطلاق النار من قبل الشرطة هو المفتش الاداري البريطاني في متصرفية البصرة، فقد تقدم بطلب توضيح نقاط معينة دونها بورقة صغيرة باللغة الانكليزية وقد ترجمها مدير التحرير وجاءت كالاتي:

مدير التحرير

اود ان تطلعوني على الاوراق التالية حول الاضراب:

١- الاوامر الكتابية المعطاة الى مدير الشرطة.

٢- الاوامر الكتابية المعطاة من مدير الشرطة.

٣- تقرير مدير الشرطة حول وقائع الاضراب.

٤- بيانات معاون مدير الشرطة يوسف بيترز حول الاضطرابات بتاريخ ٧/١٧

المفتش الاداري

وقد كتب المفتش ملاحظة جانبية دون فيها ايام الاضراب الثلاثة ١٢، ١٦، ١٩٣١/٧/١٧.

وقد تضمن كتاب متصرف البصرة الى مدير شرطة البصرة هذه النقاط وطلب توضيح النقاط التي اشار اليها المفتش الاداري البريطاني، وقد ردت مديرية الشرطة كتابها السري والمستعجل الى المفتش الاداري بان مدير الشرطة السابق (انكر امر التصريح لافراد الشرطة باطلاق الرصاص) وكما وضح مدير الشرطة في انه استفسر من المعاونين اللذين كانا ضمن قوات الشرطة التي عملت ايام الاضراب "فلم اجد في اجوبتهما ما يبرر اطلاق الرصاص" اذ انهما لم يتلقيا اي تفويض رسمي صدر باطلاق النار.

لقد اثارت هذه الحالة الخلاف بين مديرية الشرطة والمحاكم، خاصة بعد صدور الاحكام على الشرطة المتهمين مما دعا مدير الشرطة في البصرة الى تقديم كتب شكوى الى متصرف البصرة وكذلك الى مدير شرطة بغداد يدافع فيها عن هؤلاء الشرطة وما يقاسونه (من انواع العذاب في السجن).

مديرية شرطة لواء البصرة

قلم التحرير / س٧٥٠ في ٢١/تشرين اول /١٩٣١

مدير الشرطة العام / بغداد

اشارة الى المخابرة المنتهية بكتابنا المرقم ٧٤٢ في ١٩٣١/١٠/٢٠ مازال افراد الشرطة المحكومين يقاسون انواع العذاب في السجن وان بقاءهم على حالتهم مما يستوجب (مغدوريتهم) فارجو ان تتكرموا بالتاكيد على المقامات المختصة بالاسراع في رؤية قضاياهم لرفع هذا الحيف الذي لحق بهم.

والامر ضروري.. وبطيه نقدم لمقامكم قائمة حاوية على اسمائهم وارقامهم وتاريخ حكمهم مع تاريخ رفع قضاياهم الى محكمة تمييز العراق ببغداد.

وكيل مدير شرطة البصرة

واعطيت نسخة من هذا الكتاب لمتصرف البصرة، ان حالة المحاسبة للشرطة حول قيامها بهذا العمل هي سابقة لم نر لها مثيلا ابدا، ولهذا نرى ان مدير شرطة البصرة او الشرطة انفسهم لم يستطيعون استيعاب مثل هذا الموقف من الدولة او محاكمها.

ان هذا التطور في المعالجة او في موقف الحكام لابد من ان نرجعه الى موقف المفتش البريطاني من الازمة، ولي رأي اظنه لايروق للكثير وهو ما ذكرته في النقطة الثانية:

١- ان المحاكم كانت باشراف البريطانيين في فترة الانتداب هذه وهم الذين وضعوا القواعد الاساسية لها.

٢- صحيح اننا نملك نظرة عامة نحو البريطانيين بانهم استعماريون وان نظام الانتداب هو نظام استعماري ولكن لابد ان تكون هناك حالات مخالفة للسياسة البريطانية من قبل بعض البريطانيين انفسهم، اذ كان لبعضهم مواقف ايجابية، فهم ينظرون الى الاضراب نظرتهم الى ما يحدث في بلدهم من قضايا عفوية مسموح بها لأي انسان ان يتظاهر او يضرب ولكن في حدود القانون.

٣- مما تقدم تظهر لنا حالة التعاطف من الحكام ومظاهر الاضراب وقد اعتبروا ان ما قامت به الشرطة يعد تجاوزا على الحق العام، ولهذا رأينا الحكام الثلاثة يؤكدون اصرارهم على تنفيذ الاحكام التي صدرت بحق الشرطة، كما ان موقفهم بعدئذ كان واضحا في اطلاق سراح الموقوفين بعد هدوء الحالة في البصرة.

م. آفاق عربية

1974

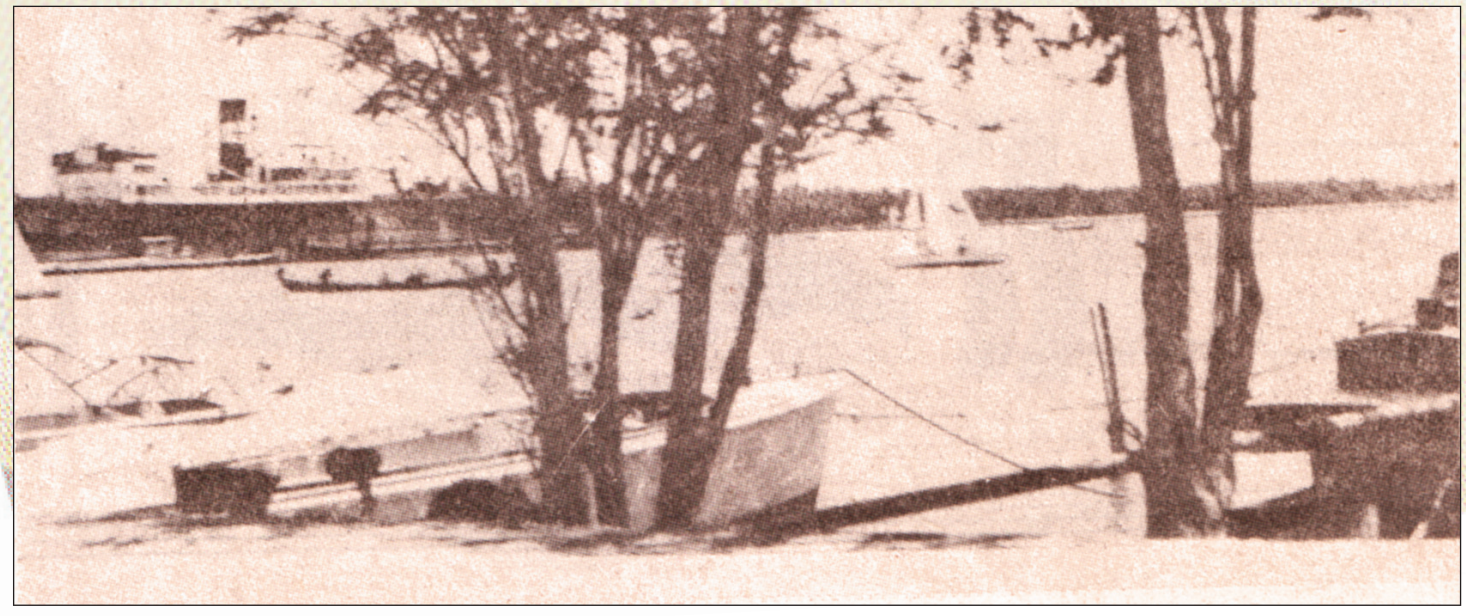

كيف نقل رفات زوجته العراقية الى ايطاليا؟..

ديلافاليه في العراق سنة 1616

د. يوسف حبي
مؤرخ ومترجم راحل

ازداد اهتمام الاوربيين، والايطاليين منهم ببلدان الشرق في القرن السادس عشر، لاسيما بعد نشر نصوص علمية وادبية وقيام حركة نهضة كبيرة، واكتشاف الاوربيين انه لا يسعهم الاكتفاء بالنصوص اليونانية واللاتينية وحدها، بل عليهم الرجوع الى نصوص عربية وسريانية وشرقية اخرى لتفهم حركة الفكر والعلوم فهي قد مرت بعدة ادوار حضارية، منها دور مهم وخطير هو دور الحضارة العربية الاسلامية، وفي عاصمة الخلافة بغداد.

لاينكر انه الى جانب الاهتمامات الثقافية المتعددة، كانت ثمة مصالح تجارية واقتصادية حفزت الغرب على فتح منافذ جديدة يصل من خلالها الى بلدان اسيا وافريقيا، وعملت على ان تكتسب اقطار الشرق الاوسط والوطن العربي اهمية بالغة، نظرا للفوائد المتوخاة.. ولما كانت هذه البلدان واقعة يومذاك تحت الحكم العثماني، تم توقيع معاهدة بين فرانسوا الاول ملك فرنسا وبين السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٥. وبفضل استتباب الاوضاع الدولية في اوائل القرن السابع عشر، عرفت العلاقات المتبادلة نموا مطردا، فتحرك البندقيون والجنويون والفرنسيون والانكليز نحو الشرق ينشدون ضالتهم على اكثر من صعيد. وكان من هؤلاء الرحالة الايطالي بيترو ديلافاليه .

زاد ديلافاليه تركية ومصر والعراق، اضافة الى بلدان اخرى، وترك لنا انطباعات فيها من الفوائد، نظرا لما تكشفه من امور في ظروف زمنية نحن بحاجة الى المزيد من المعلومات عنها.

وقبل ان نذكر نتفا من انطباعاته ومعلوماته التي جاءت بصيغة رسائل كتبها من الواقع التي زارها، نذكر شيئا عن حياته ومغامراته.

حياة ديلافاليه:

ولد بيترو في روما في ١١ نيسان / ابريل سنة ١٥٨٦، من أب اسمه بومبيو من عائلة ديلافاليه النبيلة واسم امه جوفانا البيريني. تلقى الطفل تربية جيدة، وبرع في الفن والموسيقى، وتمرس في العاب الفروسية والفنون الحربية، كما كانت عادات تلك الازمنة، وكالعديد من الشبان الرومان انصرف الى اللهو وشارك في مهرجانات الكرنفال وقدم عام ١٦٠٦ مسرحية غنائية خاصة. احب فتاة ما لبثت ان تزوجت، فكان وقع الامر عليه مؤلما، واتخذه ذريعة لكي يعطي لحياته طابعا مأساويا، وفقا لطبائع تلك الازمنة، فرحل، وقام بمغامرات ما لبثت ان اصبحت مثار الدهشة وتبع الاسى للكثيرين ممن عرفوه، فهو جنس ادبي ساد اوساط القدامى من ادباء اللاتين والادباء الاسبانيين والبرتغاليين في القرن الخامس عشر، والفرنسيين في اواخر القرن السادس عشر.

احس بيترو بضرورة مغادرة روما، فاستقر في مدينة نابولي خمس سنوات، وقد افادته هذه الاقامة في التعرف على الشرق من خلال اناس اقرب الى الشرق، اذ كانت نابولي على اتصال وثيق ببلدان الشرق، وشارك في حملات ضد قراصنة البصر، وزار صقلية، ومالطة، حتى وصل قرطاج فزار اطلالها، ومضى حتى الاراضي المقدسة في فلسطين، بل انه وصل القسطنطينية (الاستانة)، الا انها كانت اسفارا ورحلات قصيرة، غايتها الترويح عن النفس والتلهي بما علّه ينسى الهم والغم، حتى اقنعه صديقه (ماريو سكيبانو)، طالب في كلية الطب في جامعة نابولي، ان يقوم بالاستعدادات اللازمة لرحلة طويلة الى الشرق.

اسفاره:

غادر ديلافاليه ميناء البندقية في ٨ حزيران / يونيو عام ١٦١٤، وزار جزر كورفووزانتوس حتى وصل سيو وطروادة، حيث اوقفته ذكريات اليادة هوميروس عند الاطلال الاثرية، ثم وصل القسطنطينية واقام فيها اكثر من سنة عاكفا على تعلم اللغة التركية، فاكتسب حب الجميع ومودتهم لدماثة اخلاقه وعلو ثقافته، ثم وضع فيما بعد كتاب قواعد في اللغة التركية فقد بعدئذ ويصف رحالتنا في رسائل اخرى استعمال القهوة والتبغ، كما شاهد ذلك في تركية، وقد كانا قليلي الانتشار في ايطاليا، وترك لنا وصفا دقيقا عن زيارته للسلطان احمد الثاني (١٥٨٩ – ١٦١٧) ووزيره.

ترك ديلافاليه الاستانة في ٢٥ ايلول / سبتمبر عام ١٦١٥ قاصدا مصر، بعد ان مر بجزيرة رودس، وانصرف ابان اقامته في مصر الى التعرف على الحضارة المصرية القديمة، فقام بدراسة حجر رشيد، ولعله اول من زار الاهرام وابا الهول، ووصف تلك الاثار وصفا لطيفا، وصعد جبل سيناء في ظروف مناخية قاسية، وسجل انطباعات تعتبر من اروع ما كتب، ثم قفل عائدا الى القاهرة، ومضى الى السويس، وعرج على فلسطين، وكان يرصد دقائق الامور، غير متقيد بالروايات الشعبية، اذ كان همه التأكد والتوثيق

زواجه من عراقية:

اكمل رحالتنا مسيرته، فزار دمشق، وحلب، وسمع في المدينة الاخيرة بخبر (معاني جوريده)، وهي شابة عراقية من اتباع كنيسة المشرق ومن اصل جيورجي، وعمرها ١٨ عاما، فاولع بها منذ لحظة سماعه بها، ورسمت مخيلته صورة ساحرة لهذه الشابة العراقية، فاندفع مع نهر الفرات، متوقفا في عانه، حتى وصل بغداد في ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر سنة ١٦١٦، حيث حل لدى اصدقاء على الضفة الشرقية من نهر دجلة، وتمكن من رؤية حبيبة القلب، فلقي فيها صفات الخلق الرفيع والحس وجميل الخصال، فطلب يدها، وتزوجها.

لم تدم اقامة بيترو في بغداد طويلا ، لكنه رغم قصر الايام، وقضائه الايام الاولى من زواجه من (معاني)، فقد زار في خلال الخمسة والستين يوما مدينة بغداد، واطلال بابل واثار المدائن. وقد فقدت صورتان لبابل واخرى لطاق المدائن، يذكرهما ديلافالي، وكان يمكن ان تعد اليوم من التحف النادرة، لانها رسمت قبل ٣٧٠ سنة، وينقل رحالتنا رواية من يهود بغداد، مفادها ان الموقع (طاق المدائن والقصر كله) قصر لنبوخذ نصر، لكنه يصحح الرواية استنادا الى مشاهداته وعلم. واذ يمضي الى بابل ينصب خيمته في اعلى اطلاق الزقورة، ويقوم بمسح وقيام للموقع وفحص للطابوق، حاملا نماذج من هذا الطين المجفف والشمس والممزوج بالياف النخيل الى ايطاليا.

ترك الرحالة بغداد في ٤ كانون الثاني/ يناير عام ١٦١٧ قاصدا اصفهان، ففعل ما كان يفعله في كل بلد يقيم فيه ردحا من الزمن، عاكفا على تعلم اللغة والتعرف على العادات والتقاليد، ثم مضى عام ١٦١٨ الى مدن اخرى ترافقه زوجه الحنون، وقابل الشاه عباس الذي كان يومها يغازل البرتغاليين والاسبان والانكليز والهولنديين مساعيا لكسب ود الاوربيين، تقوية لنفوذه على البحر الاسود.

ثم شعر بالحنين الى بلده، ولكنه اراد العودة عن طريق الهند، فشد الرحال في تشرين الاول / اكتوبر ١٦٣١ وبدأ مغادرته الجديدة، وزار عدة مدن، ونجح في رحلته رقم الصعاب، حتى داهمته نكبة كبرى، اذ شعرت زوجة (معاني) بالام شديدة وانهكتها الحمى، فاجهضت اثر ذلك، ثم ما لبث ان ماتت بعد ايام قلائل، وكانت وفاتها في الثلاثين من كانون الاول/ ديسمبر ١٦٣١، وعمرها ٢٣ سنة، ويبدو ان الملاريا كانت سبب الوفاة، اذ كانت متفشية يومذاك بين افراد القافلة.

المغامر العالم:

يقف المرء مندهشا ازاء اصرار الرجل على حمل جسد حبيبته معه الى ايطاليا، بعد ان طيبه بالبلسم والكافور وحفظه في صندوق من خشب العنبر. لقد قام بمسيرة دامت اربع سنوات وهو يحمل هذا التابوت تحت انظار الوف من الناس قدروا له نبل عاطفته وعمق امانته.

ابحر ديلافاليه بكنزه على متن الباخرة الانكليزية (بالينا)، وقطع الساحل الغربي من مومباي الى كلكتا، وترك لنا وصفا دقيقا للعادات والتقاليد الي كان يشاهدها في طريقه وبعد اقامة مطولة في كوا، شد رحال العودة الى ايطاليا، فقطع البحر العربي، وارسى في مسقط، ووصل

غادر ديلافاليه ميناء البندقية في 8 حزيران / يونيو عام 1614، وزار جزر كورفووزانتوس حتى وصل سيو وطروادة، حيث اوقفته ذكريات اليادة هوميروس عند الاطلال الاثرية، ثم وصل القسطنطينية واقام فيها اكثر من سنة عاكفا على تعلم اللغة التركية، فاكتسب حب الجميع ومودتهم لدماثة اخلاقه وعلو ثقافته، ثم وضع فيما بعد كتاب قواعد في اللغة التركية فقد بعدئذ ويصف رحالتنا في رسائل اخرى استعمال القهوة والتبغ، كما شاهد ذلك في تركية، وقد كانا قليلي الانتشار في ايطاليا، وترك لنا وصفا دقيقا عن زيارته للسلطان احمد الثاني (1589 – 1617) ووزيره.

البصرة، ثم اكمل طريقه الى حلب، فالاسكندرية، وقبرص، ومالطة، وسيراكوزا، ومسينا، حتى وصل نابولي في ٥ شباط / فبراير / ١٦٢٦، واخيرا روما في ٢٨ اذار / مارس بعد اثنتي عشرة سنة من غيابه عنها ومن سفر متواصل.

واول ما قام به دفن جسد حبيبته في سانتا ماريا ارا تشيلي، وبعد مرور سنة اقام لها ماتما كبيران ولم يتزوج الا بعد مرور سنوات، ومن شابة ذات اصل جيورجي لكي تظل ذكرى زوجه العراقية "معاني" خالدة في اعماقه، وانصرف ديلافاليه الى امور علمية، فجمع رسائله التي كان يود في بادئ الامر ان يؤلف منها صديقه ماريو سكيبانو كتابا علميا، وراح يراسله لغويون وعلماء من ايطاليا وغيرها من البلدان الاوروبية، يستقون منه معلومات شتى بشأن البلدان التي زارها ثم اقتنع بضرورة نشر المادة الدسمة التي كان قد جمعها ودونها ابان رحلته الطويلة.

توفى بيترو ديلافاليه في ٢١ نيسان / ابريل سنة ١٦٥٢، ودفن الى جانب زوجته العراقية.

آثاره:

توهنا بوضع ديلافاليه كتاب قواعد للغة التركية اصبح اليوم في عداد الكتب المفقودة اما آثاره المطبوعة فهي:

١- عربة عهد حب، مسرحية غنائية (اوبرا)، كتبها وقدمها في روما، وانشدتها خمس اصوات، وقد نشرت في روما سنة ١٦٢١.

٢- تشييع الست معاني جوريدة ، خواطر ضمن كتاب جيروم روكي، صدر في روما سنة ١٦٢٧.

٣- معلومات عن جيورجيا، ضمن كتاب عنوانه: تقارير ورحلات غربية مختلفة، نشر في البندقية سنة ١٦٢٨.

٤- ثلاثة انواع من الشعر المنزلق، خطاب القاه في اكاديمية الظرفاء في روما سنة ١٦٣٤، ونشر هناك.

٥- موسيقى زماننا ليست احط من موسيقى الماضي، بل افضل، نشر سنة ١٦٤٠.

٦- رحلات بيترو ديلافاليه السائح، نشرت في روما في اربعة اجزاء سنة ١٦٥٠ ، واعيد طبع رحلاته في البندقية سنة ١٦٦٠، ثم في البندقية ايضا سنة ١٦٦٧، ثم في مدينة بولونيا سنة ١٦٧٢، ومرة اخرى في بولونيا سنة ١٦٧٧، ثم في البندقية في السنوات ١٧٨١ ، ١٧٨٧، ثم في تورينو سنة ١٨٤٣ في مجلدين، بهمة كانجا، بريتون، وقد اعتمدنا هذه الطبعة الاخيرة، وعنوانها الكامل: viaggi di pletro della valla il pallegriro torino (c. Garcia، Brighton ١٨٤٣، ٢ voil).

رحلات ديلافاليه:

جاء في (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) تاليف لونكريك (ترجمة جعفر خياط، ط٤، بغداد ١٩٦٨، ص٣٩٨): "بيترو ديلافاليه – مجموعة رحلاته المشهورة باريس ١٦٦٣، ٤ اجزاء. (ولا تذكر مراجعنا الاخرى هذه الطبعة) وهو رجل ارستقراطي من الطراز الروماني، والجزء الاول والثاني فقط يبحثان عن العراق، والكتاب طريف جدا". ينبغي اضافة ما جاء في الجزء الاخير من الرحلة بشأن البصرة لكي تكتمل الصورة التي رسمها رحالتنا عن العراق والبحث عن فقرات اخرى مبعثرة هنا وهناك، وعدم الاكتفاء بما في الجزئين الاول والثاني فقط.

كنا قد دبجنا هذه الكلمة منذ سنوات، ثم علمنا بان الأب د. بطرس حداد ينهض بترجمة الرحلة فاهملنا العمل فيها، ثم رأينا فائدة نشرها لكي تتكون للقارئ فكرة عن الرحالة واسفاره، فرحلته من اقدم ما وصل الينا وهو شخص كان متضلعا بالعربية الى جانب لغات شرقية قال عنه دي غويرناتيس: "يبدو ديلافاليه في معلوماته انسانيا، لطيفا، ذا فروسية، اذ لا يعتبر امر غريبا ما يشاهده، ولايبان له اي شعب يقصده غريب الاطوار بسبب نفسه العظيمة السخاء وروحه الواعية. انه نبيل" (التراث الكردي في مؤلفات الايطاليين، ص٢٦٧) فرحلته ذات فوائد بالنسبة لتاريخ المنطقة وعادات سكان البلاد التي زارها في تلك الازمنة السحيقة لقد استحق تقدير جيبون الذي قال عنه: "لم يعرف سائح آخر افضل من ديلافاليه.

بعد تقديم الى ذويه يتوجه الرحالة الى القارئ بقوله ان مذكراته في الاصل مادة غير منسقة فهي رسائل طويلة كان من المفروض ان تخدم صديقه ماريو سكيبانو، لكي ينشيء منها كتابا علميا نافعا.

ثم اضطر الرحالة بعد سنوات ان يقوم هو بنشر مذكراته وفقا لتسلسل الرسائل الزمني. ثم تلي ذلك قصيدة في مدح دلفين البندقية لصديق الرحالة سكيبانو، ثم نبذة في حياة بيترو ديلافيه بقلم بيترو بيلوري، مكتوبة في روما عام ١٦٦٢.

يقسم رحالتنا مذكراته الى ثلاثة اقسام، والقسم الثاني مقسم الى جزئين، فيكون مجموع الاجزاء اربعة. عنوان القسم الاول: تركية، واول رسائله رسالة حررها في القسطنطينية (الاستانة – اسطنبول) في ٢٢ اب / اغطس ١٦١٤، تليها رسائل اخرى طويلة من الاستانة ايضا، والقاهرة، وحلب والصحراء وبغداد حتى ٢ كانون الثاني /يناير ١٦١٧.

ويخصص القسم الثاني لما يسميه بلاد فارس ويقسمه الى جزئين. ويتناول في القسم الثالث رحلته الى بلاد الهند، وعودته الى ايطاليا، ويحرر رسائله في صراة ، كوا، ايكيرى، منغالور، مسقط، سيراكوزا، سينا، نابولي، روما.

بغداد في مذكرات ديلافاليه:

بانتظار الترجمة الكاملة للرحلة، نكتفي هنا بذكر نتف من انطباعات الرحالة عن بغداد وبابل والبصرة.

يقول ديلافاليه، انه هو ورفاق القافلة، وصلوا مدينة تسمى (الامام موسى) اي الكاظم، تبعد مسيرة ساعة عن بغداد، ويقصد ضريحه الناس من بغداد كما من كل مكان، ولاسيما النساء ايام الجمع. ثم يذكر كيف ان التجار يتحايلون على موظفي الكمارك، فلا يحتفظون الا ببضاعة قليلة لديهم لدى وصولهم نقطة التفتيش، بينما يهربون البضائع النفيسة الاخرى الى بغداد بطرق عديدة، تخلصا من الرسوم.

ويتطرق رحالتنا الى نقطة مهمة فيقول: ان العديد من الغربيين وهموا ظانين ان بغداد هي مدينة بابل القديمة، ناسين ان بابل مدينة قديمة العهد تقع على الفرات بينما تقع بغداد على دجلة، هذا بالاضافة الى ان عمارات بغداد على الطراز العربي الاسلامي، ولايمكن للمرء ان يشاهد من اطلال بابل سوى بعض الاسوار والحيطان، اما القصور والمعابر والابنية الاخرى فمطمورة تحت التراب. ويؤكد رحالتنا امراً اخر مهما في ايامه، هو اختلاف بابل وبغداد عن (المدائن)، فهذه في موضع ثالث.

وبغداد عاصمة الخلافة، دعاها ماركو بولو (بالداك). وتقع بجزئها المنفتح على الضفة الغربية من دجلة، بينما يقع الجزء الاكبر منها على الضفة المقابلة، اي اليسرى او الشرقية. بيوتها مشيدة بطابوق عتيق وجديد. الكثير منها منخفض تحت مستوى الطرقات، والشبابيك معدومة، اذ لا تلقى سوى كوى صغيرة بحيث تكون الغرف شبه مظلمة، وهذا كله اتقاء لشدة الحر.

وتتكون البيوت عادة من طابوق ارضي واحد. وكثيرا ما تلقى غرفا تحت الارض تستخدم لخزن المواد ولقضاء ساعات من النهار حين يشتد الحر.

يسكن الباشا (الوالي) في قلعة كبيرة، تقع في اقصى طرف من المدينة، فوق الاسوار المطلة على النهر، في الضفة الشرقية منه.

الاسواق وطرقاتها كثيرة، مغطاة كلها بسقوف، بعضها جميل للغاية، وهي تحتضن بضاعة نفيسة، لاسيما من اقمشة الحرير.

وتقوم ضمن النطاق ذى الاسوار بساتين كثيرة تكتظ معظمها باشجار النخيل، واشجار الرمان والليمون من النوع الفاخر، كما تنمو بعض انواع الخضروات والجذور، يتسلون بقسم منها ويظنونه جيدا، الافيون وبعض المخدرات الاخرى غير معدومة هناك. اما الاراضي فمنبسطة، تنبت بعض الحشائش والنباتات حتى عندما يقوم احد بزرعها، وعملية السقي شاقة، لانهم لايصنعون عجلات من الحجم الكبير كما يفعل اهالي مصر، بل يستخدمون حيوانات كثيرة، الهواء نقي، حار اننا – يقول ديلافاليه – في شهر كانون الاول / ديسمبر، وكنا في شهر ايلول / سبتمبر في نابولي.

ونحن هنا في بغداد ناكل البطيخ الذي يحمل الى بغداد من الموصل، عبر دجلة، فوق قوارب تحملها قرب منفوخة (اكلاك).

يمر دجلة وسط بغداد، ويتم عبور النهر فوق جسر قوارب، عددها ٢٩ او ٣٠ يضيفون اليها اخرى في مواسم الفيضانات، ويربطونها بسلاسل حديدية، وفي الجسر موضعان او ثلاثة يمكن فيها قطعه، وهم يفعلون ذلك ليلا منعا للمتسللين من الدخول، وتفيد الفتحة التي في الوسط في ازاحة نصف الجسر الى الضفة اليمنى، ونصفه الاخر الى الضفة اليسرى.

وذلك دفعا لتكسره ابان هبوب الرياح الشديدة في موسم الفيضان، في هذه البلاد كما في بلاد مصر، تغرق مساحات واسعة من الاراضي، وقد يحدث الفيضان في شهر آب بسبب ذوبان الثلوج في الجبال البعيدة، لذا لايمكن على ما يظن الرحالة تشييد جسر حجري على نهر دجلة او على الفرات.

بابل:

منذ ايام ورحالتنا ينوي زيارة اطلال بابل، وسبب تردده سماعه ببعض حوادث مزعجة في تلك الارجاء ، واخيرا يصمم على الذهاب.

يقول: ان بابل القديمة تقع وسط سهل ريفي فسيح، على بعد نصف ميل من الفرات، يشاهد فيها اخلالا بهيئة جبل، مربع الشكل قطره ١١٣٤ خطوة من خطوات ديلافاليه، اي نحو نصف ميل تقريبا، بحسب تقديره.

وفي الاطلال ما يشبه الهرم، او انه معبد بعل، كما يقول سترابون (في الكتاب ١٦)، ويظنه ما تحدثت عنه التوراة (في الفصلين ١٠ و ١١ من سفر التكوين)، وما يصفه هيرودوت وصفا دقيقا (في الكتاب الاول)، اي انه – حسبه – برج بابل، وقد كان مكونا من سبعة ابراج، كما يقول هيرودوت الواحد فوق الاخر، ودرجة من الخارج.

يؤكد رحالتنا ان الاثار المتبقية لا تدل على الضخامة التي كانت عليها مدينة بابل القديمة سابقا، لكنه يستدرك انه لا غرابة في الامر، اذ انه قد تهدمت منذ زمان طويل، وكان تيودوروس سيكولوس نفسه قد اشار الى تضاؤل اهميتها منذ عهده.

اما مواد البناء التي امتحنها ديلافاليه وفحصها بنفسه فحصا دقيقا ووصفا وحمل نماذج منها الى ايطاليا، فهي الطابوق من الحجم الكبير، والمكون من التراب او من الطين المجفف في الشمس كما يفعل الاسبان، وقطع الطابوق هذه ترصف وتبنى بالطين وبتراب فيه شيء من الكلس والتبن. اما المواضع المهمة والمعقدة في البناء فيستخدم فيها طابوق مشو وقار. وقد اشرنا سابقا الى ان رحالتنا اوعز الى مصوره فرسم اطلال بابل من اجمل جهتين، لكننا فقدنا الشكلين مع الاسف، كما فقدنا صورة طاق المدائن، ويلح على وجوب التفريق بين بغداد، وبابل القديمة، وسلوقية اي المدائن ويقول بوضوح ان بابل قريبة من الحلة، ولاتفوت الرحالة الفرصة لكي يصف جمال المراة العراقية.

تحرشات الفرس:

يتحدث ديلافاليه عن تحرشات الفرس بمدينة مندلي في الايام التي كان فيها في العراق، وقيامهم بالنهب والسلب في تلك المنطقة التي تبعد ثلاثة ايام عن بغداد، وقتلهم لجند الحامية.

البصرة:

يكتب رحالتنا بشأن البصرة في ٢٠ ايار / مايو ١٦٢٥ ، ما ترجمته عن الايطالية، مدينة البصرة كبيرة وماهولة بكثرة السكان، لكنها ذات بناء بسيط وهي مستوية "ومفتوحة" اذ كانت بدون اسوار، حتى اكره الناس على تحويط مدينتهم بسور وابراج حجرية متكسرة وابواب توصد وقت الحاجة، وكل ذلك بسبب الاعتداءات التي شنها عليهم الفرس، تقوم داخل السور اسواق الصاغة، ودكاكين الاقمشة والبضائع النفيسة وثمة ساحة في البصرة، تقع امام مسكن الباشا، تعجل دوما بالخراف والحنطة والرز والبقول الاخرى، وتباع هذه كلها بدون حوانيت، ولا يسرق منها شيء.

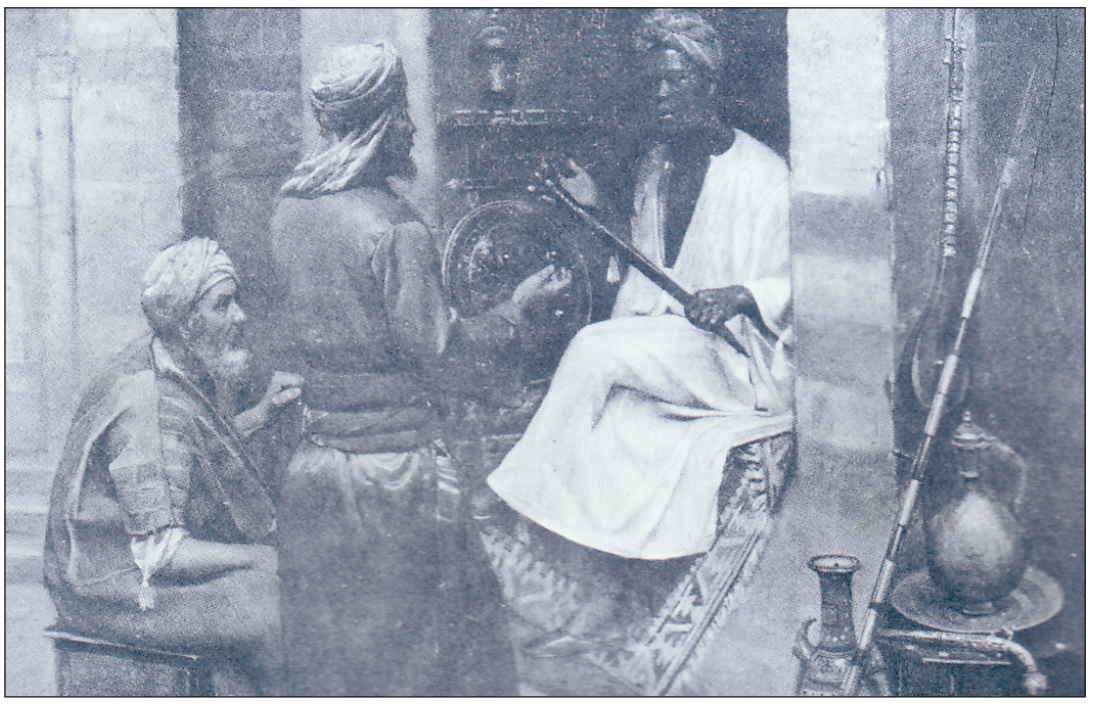

مجلة بين النهرين 1988

ويندل ويلكي
مبعوث الرئيس الاميركي في بغداد 1942

د. سمير عبد الرسول العبيدي

شكلت الحرب العالمية الثانية بداية لمرحلة جديدة من تاريخ العالم لعل من ابرز ملامحها بروز الدور الامريكي، لذا استوجب ان ندرس وبتمعن كل ما يخص عالمنا العربي عامة والعراق خاصة ضمن هذه المدة التاريخية وفي هذا تبرز زيارة المرشح الجمهوري والسابق وندل ويلكي الى المنطقة باعتبارها علامة فارقة، كونه ارفع شخصية سياسية امريكية تزور المنطقة حتى ذلك التاريخ وقد جاءت في ظرف دقيق للغاية، وحملت معان مهمة ولذا حرص الكاتب على تدوين ملاحظاته بدقة غابت عنها الموضوعية والرصانة الدبلوماسية في كثير من الحالات.

وربما يعود ذلك لكونه قدم الى المنطقة وهو يتبنى تصورات وافكار مسبقة لذلك سعى الى البحث عما يوافق هذا وهو في كل ذلك لم يفته الاشارة وباستمرار الى التطلعات الامريكية في المنطقة، وهي وبرغم الزمن لم تتغير كثيرا فالاهداف واحدة اما التغيير فشمل الوسائل لا اكثر ولا اقل.

وقد اقتنيت الكتاب في طبعتيه الانكليزية والعربية ومنهما جاء هذا العرض الموجز والذي حاولت ان اركز فيه على ما يهم بلدنا العراق والذي زاره ويلكي للمدة (١٢-١٤/٩/١٩٤٢)

حول العالم

في قاذفة من "الكونصر لبديتد" ذات اربعة محركات، حولت لمصلحة النقل، وبسيرها موظفون من جيش الولايات المتحدة، غادرت "ميتشيل فيلد" في نيويورك يوم ٢٦ آب ١٩٤٢، لارى ما يسعني من العالم والحرب، جبهاتها وقادتها، وشعوبها، وعقب ٤٩ يوما تماما، في ١٤ من تشرين الاول، حطت الرحال في مينيابوليس بولاية مينيسوتا، فقد طفت حول العالم، لا عن طريق خطوط العرض الشمالية، حيث محيط الكرة صغيرة، ولكن عن طريق خط الاستواء الذي اجتزته مرتين.

قطعت مسافة ٣١٠٠٠ ميل، ولا تزال هذه المسافة – كرقم انظر اليه – تثر في نفسي وتكاد تضلني، ذلك لان الاثر الخالص الذي تركته في رحلتي لم يكن الشعور بالبعد عن اقاوم اخرين، بل بالقرب منهم، ولو جال بخاطري يوما شيء من الريبة بان العالم اضحى صغيرا، ويعتمد بعضه على بعض اعتمادا كليا، لبددت هذه الرحلة ريبتي كل مبدد.

160 ساعة في الجو

والحقيقة الغريبة اننا في اجتياز هذه المسافة الشاسعة امضينا في الجو ١٦٠ ساعة فحسب كنا نطير عادة من ثماني ساعات الى عشر في اليوم الواحد عندما نكون في حالة الحركة والانتقال، بمعنى ان من ٤٩ يوما المخصصة للرحلة، كان لي ٣٠ يوما تقريبا، على الارض، لتحقيق الاهداف المنشودة، ولم تكن مسألة الانتقال الجسدي من بلد لآخر، او من قارة لقارة، اشق من الرحلات التي قد يقوم بها اي رجل اعمال اميركي في اي يوم من ايام حياته سعيا وراء الرزق.

لم يعد ثمة مواضع قصية في العالم، لقد علمتني هذه الرحلة ان عشرات الملايين من الكائنات البشرية في الشرق الاقصى هي قريبة منه، بقدر ما تقرب لوس انجلوس من نيويورك في اسرع القطر الحديدية، ولا مفر من الايمان بان ما يهمنا، في المستقبل، يجب ان يهمنا بقدر ما تهم تقريبا مشاكل اهالي كاليفورنيا اهالي نيويورك.

ان تفكيرنا في المستقبل يجب ان يكون عالميا

ففي المكان الاول اقتنعت بان جميع هذه الشعوب هي معنا اكثر منها ضدنا، ويرجع ذلك، جزئيا، الى ان اميركا كانت بعيدة عنهم ولا تمارس اية سلطة عليهم، وهذه بالمناسبة، سبب جوهري لما تنعم به المانيا من شهرة حتى اليوم في ايران مثلا، زد على ذلك ان دخول اميركا الحرب اقنع عددا كبيرا منهم بانه مهما تكن الموانع الوقتية فلا بد للامم المتحدة من الانتصار، وبكلمة اخرى ان شعوب الشرق الاوسط الذين توالى على حكمهم الغزاة والفاتحون، من قبل ايام الاسكندر الكبير، يتحلون الى حد كبير بالناحية العلمية الصرف في تفكيرهم وبغريزة البقاء، الأمر الذي يحملهم على اختيار الجانب الرابع قبل ان تتحتم النتيجة وتظهر.

وثانيا، اقتنعت بان نوعا من الخميرة كان يعمل عمله في جميع الاماكن التي زرتها، حتى اشد ضروب الحياد لا تقدر على منع الحرب من طبع الناس الذين يعيشون في هذه المنطقة بتغييراتها البعيدة المدى والعنيفة، ولسوف تتحول حياتهم في السنوات العشر القادمة اكثر مما طرأ عليها من التحول في القرون العشرة الماضية.

الشك والحذر

وثالثا، لم اعثر على ضمان الي بان هذه التغييرات ستكون في مصلحتنا، فقد عارض بقوة سحر ارائنا السياسية الغربية كثير من المسلمين وكثير من العرب وكثير من اليهود وكثير من الايرانيين، عارضوها في اذهانهم، وقد مضى عليهم الان جيل تقريبا وهم يراقبوننا عن كثب بينما كنا نقاتل بعضنا بعضا ونحارب انفسنا ونمتحن جوهر كيان عقائدنا. القيت في كل مكان اناسا مؤدبين ولكن متشككين، قابلوا اسئلتي عن مشاكلهم ومصاعبهم باسئلة مؤدية ولكنها ساخرة عن مشاكلنا.

وقد اثيرت مرارا قضية التسوية العرقية الخاطئة في اميركا، واحسب ان كل موظف حكومي حادثته ابدى تعجبه من علاقتنا مع حكومة فيشي. كان العرب واليهود متشوقين لمعرفة ما اذا كانت تصريحاتنا عن الحرية تعني مناطق جديدة وواسعة من الانتداب، هذا الانتداب الذي راح يعني في لبنان وسوريا وفلسطين، حقا او خطأ ، ضربا من الطغيان الاجنبي.

واخيرا، حيثما توجهت في الشرق الاوسط لقيت نوعا من الاخر الفني والمسلكي يرافق الفقر والقذارة، على انني فهمت، لأول مرة في القدس، كيف ان كثيرين من الاميركان ذهبوا الى هناك

شكلت الحرب العالمية الثانية بداية لمرحلة جديدة من تاريخ العالم لعل من ابرز ملامحها بروز الدور الامريكي، لذا استوجب ان ندرس وبتمعن كل ما يخص عالمنا العربي عامة والعراق خاصة ضمن هذه المدة التاريخية وفي هذا تبرز زيارة المرشح الجمهوري والسابق وندل ويلكي الى المنطقة باعتبارها علامة فارقة، كونه ارفع شخصية سياسية امريكية تزور المنطقة حتى ذلك التاريخ وقد جاءت في ظرف دقيق للغاية، وحملت معان مهمة ولذا حرص الكاتب على تدوين ملاحظاته بدقة غابت عنها الموضوعية والرصانة الدبلوماسية في كثير من الحالات.

يخالجهم شعور حقيقي بانهم عائدون الى الازمان الانجيلية. سبب ذلك انهم في الواقع كانوا عائدين الى الازمان الانجيلية، الى حيث لم يطرأ تبدل يذكر في غضون الفي سنة، ان خطوط الطيران العصرية وخطوط انابيب النفط، والطرقات المعبدة، او حتى فن صب الرصاص والاشتغال به تؤلف طبقة رفيعة من الخشب المزخرف على سطح الحياة التي هي في الجوهر من البساطة والصلابة على قدر ما كانت عليه قبل ان يكون ثمة غرب. واذا كان من شذوذ فان المرء ليجده في التحسينات الصناعية والزراعية والثقافية التي اجريت تحت اشراف الحركة الصهيونية العالمية، او حيث حقق العرب، كما في بغداد، درجة من الحكم الذاتي.

لاح لي ان هؤلاء الاقوام بحاجة الى اربعة اشياء على درجات متفاوتة وباساليب متباينة، انهم بحاجة الى قدر اكبر من التعليم، والى عمل اوسع في حقل الصحة العامة، والى الاخذ بقدر ارقى من الصناعة العصرية، والى قدر اعظم من عزة نفس اجتماعية وثقة بالنفس تتأتيان من الاستقلال والحكم الذاتي.

ان هذه المعضلة، كما يبدو لي، معضلة حمل شعوب الشرق الاوسط الى القرن العشرين في حدود مسلكية وصناعية، هي، بدورها، وثيقة الصلة بقضية الحكم الذاتي السياسي، ان كثيرين من الاجانب الذين قابلتهم وحادثتهم في هذه البلدان افادوني عن الاسباب العديدة، والمشروعة في نظرهم، للتأخر البالغ، للتأخر الاولي الذي يعيش فيه معظم العرب. وقد تراوحت هذه الاسباب من اتهام العرب بانهميؤثرون فعلا الموت وهم احداث الى القول بان دينهم يحرم عليهم تجميع رأس المال للقيام بتحقيق التحسينات التي يفتقرون اليها في معيشتهم. ان اكثر هذه الاسباب في نظري كلام فارغ. اتاح لي من العرب الذين رأيتهم، فرصة للشعور بانهم اسياد انفسهم، تجدهم وقد غيروا العالم الذي يعيشون فيه وقلبوه رأسا على عقب.

ان الاستقلال او الحكم الذاتي، كما تدل عليه قرينة الكلام في الشرق الاوسط، فكرة مطلقة جدا لا يفقه منها الاميركي شيئا، فالذين ضده يشيرون الى التشويشو الارتباك اللذين قد ينشأن اذا ما اطلقت الحرية لهؤلاء الاقوام لحكم انفسهم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فان الذين يؤيدونه يرسمون صورة شديدة السواد عن النفوذ الغربي في الشرق الاوسط، فيصفونه بانه مجرد استغلال استعماري، وينسون الارباح الثابتة التي جاءت مع التوسع الفرنسي والبريطاني والاميركي هناك (كذا..!).

والحقيقة الثابتة واقعة في الوسط، فقد القيت عددا جدا قليل فحسب من العرب واليهود او المصريين او الايرانيين يريدون من الغرب ان يتخلى عنهم بكل ما له وعلى الفور. انما كانوا، على العموم، يريدون خطة محكمة ومنظمة تنقل اليهم بريطانيا وفرنسا بموجبها، بانتظام نصيبا اوفى وقدرا من المسؤولية من اجل حكومتهم الخاصة. وهذا على ما يبدو لي رغبة معقولة جدا، ففي بلد كالعراق رايت ان بالوسع اشباع هذه الرغبة وتثبيتها، فالعراق احد البلدان القليلة جدا في العالم التي مرت بوضع استعماري الى وضع انتدابي ثم اصبحت فنيا، دولة حرة ذات سيادة، وقد اتيح لي ان اعاين ان سيادتها ما تزال خاضعة لحاجات البريطانيين، إلا ان هذه ، في الاقل، كانت حاجات عسكرية تتصل بربح الحرب..

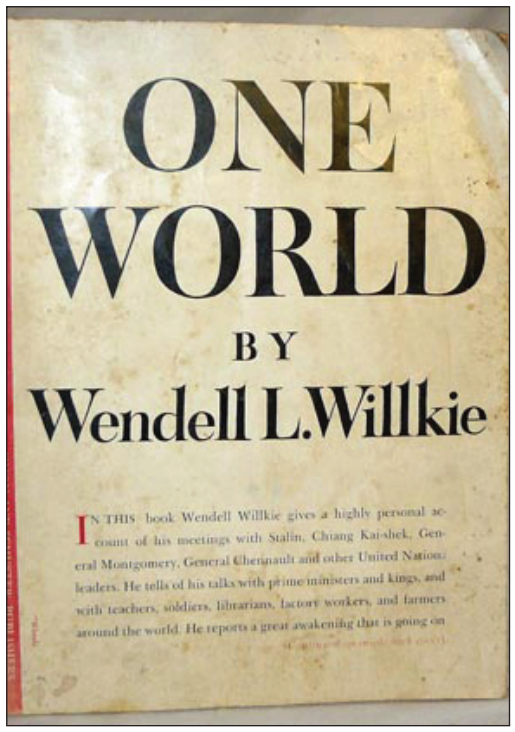

رجال احبهم

احببت الرجال الذين قابلتهم في العراق، وقد اقام لي الامير عبد الاله، الوصي، مادبة فخمة تحت الدراري في بغداد ساذكرها ما حييت.

وقف على سجادة بديعة في مرجة فسيحة وراح يستقبل مدعويه، وبالقرب منه، على طنافس اخرى، وقف رؤساء حكومته، كان بعضهم في القفطان والعمامة، منهم وزير الاقتصاد(٣)، وبمظهره الغريب، ورئيس مجلس الاعيان (الشيوخ) (٤) الذي ينظر اليه الاجانب الاوقاح نظرتهم الى "الة" بسبب لباسه الصحراوي الطريف ولحيته الطويلة، وكان الباقون في الملابس الفرنجية، وقد علمت ان كل وزير تقريبا تولى في وقت ما كل وزارة في الحكومة.

قال لي صديق عراقي: "الست ترى انك عندما لاتجد بين يديك إلا عددا قليلا من ورق اللعب تضطر الى خلطه مرارا؟".

وبعد ليلتين اقيمت مأدبة اخرى، اقامها هذه المرة نوري باشا السعيد، رئيس وزراء العراق، وهو رجل ضئيل الجسم، في وجهة نظرة فضولية نافذة، وكان من ادهى الاذمغة التي قابلتها في حياتي، كان قد اعيد الى الحكم في ١٩٤١ بعد ان كان على

البريطانيين استعمال القوات العسكرية لخلع رشيد عالي الكيلاني، سلفه الذي حالف الالمان". كان نوري يحكم العراق كحليف غير محارب لبريطانيا العظمى، مع رغبة ملحة للدخول في المعمعة، وهو ما فعله منذ ذلك الحين، وكان السير كنهان كورنواليس، الوزير البريطاني في بغداد، وهو انكليزي اخر، مدير القامة، يدخن الغليون، ويتصف بالمقدرة والهدوء، احد بناة امبراطورية الانكليز الافحاح من وزارة المستعمرات الذين قابلتهم في كل مكان من الشرق الاوسط، كان بلا ريب رجلا يصغي اليه نوري، من غير اسراف، بانتباه ينم على احترام، على انني ارتبت في ان يكون نوري واقعيا، وفي ان يكون بعيدا عن الوقواع في اية مشادة، من الوجهة النظرية حول الاستقلال التام من التحكم البريطاني، وان يكون عارفا بان الوقت كان حليفه في كفاحه لانشاء اول دولة عربية عصرية مستقلة.

ليلة من الف ليلة!

كانت وليمة نوري صورة من الف ليلة وليلة عن الشرق الاوسط. انفقنا النهار نتفرج ببغداد ونشاهد جامع الكاظمين الخيالي يرسل مآذنه الذهبية الى السماء، واسواق بغداد ومساكنها المغيرة المصنوعة من الطابوق (الأجر)، وسوق الصفافير حيث يصنعون من النحاس والفضة طاسات واباريق ولكن المخازن كانت تبيع الاباريق من نيويورك او ليفربول، والمتحف الذي بعد من اجمل المتاحف في العالم الخاص باثار "اور" الكلدان التي ترجع الى اوائل تاريخنا، ومقهى احتسينا فيه القهوة العربية وقد اكتظت فيه جماهير الناس وراحت تتحادث وتقرأ الصحف او تلعب الدومينو حولنا. على ان الوليمة، بالنسبة حتى الى هذه المشاهد، كانت بالغة منتهى الروعة.

وبعد بضع خطب تقليدية انقلب العشاء الى حفلة موسيقية، والحفلة الموسيقية انقلبت الى معرض من الفتيات الراقصات العربيات، وانقلب هذا بدوره الى مرقص اجنبي اختلط فيه ممرضات بريطانيات وجنود اميركيون قدموا من البصرة، وضباط عراقيون، راحوا يرقصون تحت سماء عربية. ما كان لأمرئ امضي السهرة تلك الليلة ان يحتفظ بالفكرة القائلة بان الشرق والغرب لن يلتقيا، وان الله عازم على ان يبقى العرب قوما من البادية، يحكمهم الاجانب من وراء البحار.

النظام الاستعماري:

رحت افكر، وانا طائر في اليوم التالي، من بغداد الى طهران في حوادث الليلة السالفة، فاذا انا احس ببعض تيارات فخية، رشيدة، لحظتها من قبل في احاديثي مع الطلبة ورجال الصحافة والجنود، في كل مكان من الشرق الاوسط، وقد عززت جميعها الاعتقاد بان هؤلاء القوم الذين تنبهوا حديثا واستيقظوا سيكونون اتباع زعيم متطرف في هذا الجيل، اذا لم يبادر حكامهم وسادتهم الاجانب، الى اشباع جوعهم الجديد الى التعليم والى فرصة لاطلاقهم من الطقوس الحكومية والدينية القديمة التي تفيدهم، فالحجاب والطربوش والمرض والقذارة والنقص في التعليم وفي التقدم الصناعي العصري واستبداد الحكومة، كل اولئك اختلطت في اذهانهم لتمثل ماضيا فرضه عليهم اتحاد بين قوى تعمل ضمن مجتمعهم الخاص وبين مصلحة السيادة الاجنبية، وقد سئلت مرة بعد مرة هل تنوي اميركا ان تؤيد نظاما يتحكم فيه الاجانب بنا وعلى ما في ذلك من اعوجاج؟ هل تنوي ذلك لانه يتفق ان تكون نقاطا استراتجية في طرق العالم العسكرية والتجارية؟ او قد يقولون على طريقتك، لاننا نقاط استراتيجية لابد من الحوزة عليها لمنع سيطرة المحور او اية سيطرة غير ديمقراطية على مفتاح طرق العالم العسكرية والتجارية؟ ولان نزعنا وبحارنا وبلداننا لازمة للتحكم بشرقي المتوسط وتؤلف الطريق الى اسيا؟

انني مدرك ان هذه المسألة يمكن تبسيطها للغاية عند تقريرها وانها ليست غير قابلة للتاثر بحلول سهلة. واعلم ان استبقاء نقاط كالسويس وشرقي المتوسط والطرق المارة باسيا الصغرى الى الشرق لا مفر من ان يظل في ايد مستقرة صديقة، اذا كان لديمقراطيتنا الغربية الا تهددها قوات عدائية، كذلك اعلم ان ثمة تبريرا كبيرا من الناحية التاريخية وحتى من جهة الحاضر، للنظام الاستعماري "الوافي" الدارج، على ان المسالة، عمليا، بالنظر الى الاختمار الاخذ مجراءه، تنحصر فيما اذا كان من الممكن الاحتفاظ بذلك النظام، يجب ، من الوجهة المثالية، ان نواجه الحقيقة بان النظام (الاستعماري) بغيض الى جميع المبادئ التي تدعي اننا نحارب من اجلها. وفضلا عن ذلك فاننا كلما امعنا في التبشير بتلك المبادئ زدنا هياجا الخميرة التي تهدد النظام بالخطر.

المعالجة والحل...

انني اعلم كل هذا، غير انني هنا انقل ما يجول في اذهان رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية والجماعات المتنورة الواعية التي تجدها في كل مدينة من الشرق الاوسط، وحتى ما يجول بايهام في اذهان العامة، ومهما يكن فلا بد، بمعالجة جديدة وبحكمة منتدة، من حل هذه المسألة او ينهض زعيم جديد على تعصب ذميم، يستغل النقمة العامة، وستكون النتيجة، بحكم الضرورة، اما انسحاب الدول الخارجية انسحابا تاما فتعنى بخسارة فادحة للنفوذ الديمقراطي واما الاحتلال العسكري التام وحكم البلدان من قبل تلك الدول.

اذا كنا نؤمن بالغايات التي تنادي بها ، واذا كنا نريد القوى الجديدة المتحفزة، ضمن الشرق الاوسط، ان تعمل معنا لحتقيق هذه الغايات، فمن الواجب ان نمتنع عن محاولة اطالة التحكم باستعمال القوات الاهلية، واثارة البلدان الواحدة ضد الاخرى من اجل اهدافنا الخاصة.

حوار على الدراجة مع علي الوردي

لأمل الافلام الهزلية كافلام لوريل وهاردلي المعروفة بالاوساط العراقية بـ (السمين والضعيف)..

معاهد العراق – كل العراق – تخوض هذه الايام معركة الامتحانات الأكاديمية التي مازالت تعتبر مقياسا لنجاح الأفراد .. والامتحانات الأكاديمية ستنتهي هذا الشهر .. اما امتحانات قرندل لرجال الفكر والادب فلن تنتهي .. ان قرندل قررت ان تمتحن اساتذتكم الذي يمتحنونكم .. وممتحن قرندل لهذا الاسبوع هو الدكتور علي الوردي .. الاستاذ الجامعي الصريح .. اننا نمتحنه من اجل الفائدة .. لامن اجل الامتحان ..

لقد اتصلنا به هاتفيا وطلبنا منه تحديد الزمان والمكان لنوجه اليه بعض الاسئلة ففضل ان ياتي هو بنفسه في الساعة السادسة عصرا الى قاعة امتحان مجلة قرندل..

والوردي هو الدكتور الثاني الذي تنزله قرندل عن برجه العاجي باختياره .. ان الوردي انسان مثقف اختلفت فيه الاراء عندما نزل الى ميدان الاجتماع والادب .. لقد صال وجال دون ان يلقي سلاحه جانبا ودون ان يستسلم ومن هنا نشاء تقدير جمهور المثقفين له .. ولكل انسان لايستسلم ولايسكت عن قول الحق .. او ابداء الراي الخالص في الناس والحياة والكون .. لقد ثارت عليه ومازالت ثائرة الادباء والشعراء وقادة الفكر في البلد ولقد رجمه من رجمه وصفق له من صفق ولكنه مازال يصول ويجول بادب ومقدرة ..

قلنا له – وقولنا نفاق ادبي من اجل الحقيقة:–

قال عنك الدكتور علي الزبيدي انك قرقوش .. وقال عنك الصراف ان ثمة ذراعا تحت ابطك تقيس به حوادث التاريخ وقال عنك الدكتور محمد البصير .. ان طفراتك من حقول الاجتماع الى رياض الادب ليست موفقة ..

قلنا له كل هذا وقد سمعه الوردي من قبل .. فابتسم وقال ..

انا لااقول فيهم شيئا ولكل واحد وجهة نظره في.. (خلهم يكولون خلهم) انها وجهات نظر وللكل الحق في ابداء رايه .

ولقد سبق ان قلت في الادب ناحية اجتماعية وهذه الناحية هي التي اعنى بها وبدراستها .. اما الادب المحض فاني اعترف بالعجز فيه وللادباء الحق في ان يلوموني كل اللوم على حالة اصراري التدخل في الادب من حيث هو ادب لامن حيث هو صورة من صور المجتمع البشري ..

وهناك ملاحظة اود ان الفت انظار القارىء اليها .. هي ان خروج اولي الاختصاص عن موضوع اختصاصهم الى موضوع اخر قد يفيد احيانا وقد حدث مثل هذا كثيرا في تاريخ العلوم المختلفة ، حيث ان المختصين في موضوع معين قد ينهمكون في الموضوع ضمن اطار تقليدي ولهذا يصعب عليهم ان يكتشفوا بعض نواح جديدة فيه .. ومن هنا تاتي فكرة غير ألاختصاصيين حيث يستطيع هؤلاء ان يلفتوا انظار المختصين الى بعض النقاط التي كانوا غافلين عنها .. واقول ان كل ما قالوه وفي كل ما نعتوني به هو ليس الا وجهات نظر .. وللكل الحق في ابداء رايه ..

لقد اشغلوني .. وان انشغالي في المجادلات مع اخوتي الادباء – سامحهم الله – اشغلني عن انجاز اخر كتبي المعنون (لغز الاحلام) وارجو من الاخوان ان يمهلوني بضعة اسابيع حتى انتهي من اخراج هذا الكتاب ولهم مني الشكر الجزيل..

• وبعد قلنا للدكتور الوردي .. ان هافلوك ارسن الفيلسوف الاجتماعي الكبير والشهير بابحاثه الجنسية دعا الى الزواج الانفصالي .. أي ان لكل واحد من الزوجين ان يعيش منفردا فلا اجتماع لهما بعد الا ان يحددهما موعد كالعشاق .. ولكل واحد شخصيته المستقلة وتصرفاته الخاصة وعلاقاته بالافراد فما رايك بهذه الدعوة ؟.

– وبعد تردد طويل .. قال ..

لااستطيع ان ابدي رايا في موضوع الزواج الانفصالي لقلة علمي به ولكني مع ذلك استطيع القول ان النظام القديم صار في الاونة الاخيرة موضوع نقدات وهجمات متنوعة من قبل الكثير من الباحثين واقترح بعضهم علاج شتى لما اسموه بماساة الزواج القديم ومن الممكن اعتبار راي هافلوك ارسن نوعا من هذه الاقتراحات .. ولي ان اقول الزواج القديم اعتاد عليه المجتمع البشري وهو يلائم الظروف التي كان البشر يعيشون فيها في الازمنة القديمة حيث كان الرجل يسعى وراء الرزق وتبقى المراة في البيت ترعى شؤون البيت والاطفال .

واليوم فقد بدات المراة تسعى وراء الرزق كالرجل واصبح الغسيل والطبيخ فيكثير من الاحيان تقوم به مؤسسات مشركات تكون من خارج البيت . وبهذا تمكنت المراة من ان تترك بيتها في سبيل العون دون ان تجد في ذلك مشقة او ضير .. وان الحضارة الجديدة بعبارة اخرى تكاد تذهب .. بوظيفة المراة في البيت وقد تشكى بعض الباحثين الاجتماعيين من هذه الظاهرة وعدوها إيذانا بتفسخ الحضارة ومهما يكن الحال فانها ظاهرة قوية المأمول فيها ان تسود العالم عاجلا ام اجلا .. ومن هنا جاز لنا القول ان الزواج الانفصالي الذي دعا اليه هافلوك ارسين قد يجد له مجالا للانتشار بين فئات كثيرة في الناس في المستقبل اذا يتفق الرجل العامل والمراة العاملة ان يعيشن كل منهما على حدة ثم يلتقيان في موعد بينهما كما يلتقي العشاق..

ثم سالناه عما اذا كان ومازال كاحد افراد الزيدية فاجاب بعد ضحكة عريضة ..

• الحقيقة التي لاتردد في اعلاني لها هي انني مازلت اعتبر عقيدة زيد بن علي هي العقيدة الوسطى في الاسلام واذا صح من قال ان خير الامور أوسطها فان مذهب زيد بن علي هو خير المذاهب .. ولايعني هذا انني وافقت على ما عليه الفرقة الزيدية في الوقت الحاضر .. فلقد حادت هذه الفرقة عن مذهب امامها بمرور الزمن كما حادت جميع الملل والنحل عن مبادىء مؤسسيها الاولين ..

– الا ترى انك بدات تقيس الامور على طريقة المنطق القديم التي ناهضتها في كتبك السابقة .. يعني لانه قلت ان خير الامور اوسطها ؟.

× نعم هذه دقيقة وبعد ان يضع السيكارة السادسة وياتي عليها يقول اود ان اقول بان مبدا خير الامور اوسطها ليس من المبادى التي احتكرها المنطق القديم فهو لايزال صحيحا حتى يومنا هذا وهو ما يعرف اليوم بالاعتدال وقد ثبت علميا بان الزائد في الامور كالناقص .. اذ لكل شيء حده الملائم له فازداد عن حده واذا نقص عنه أضر كذلك .. وبعد ان اولعنا له السيكارة السابعة قلنا له – مصطفى جواد من رواد السينما المزمنين ومن المولعين بالافلام الاستعراضية والصراف من المولعين بالدروشة والغناء والمسموع انكم مولعون بالغناء وركوب الدراجات الهوائية فهل هذا الكلام صحيح ..؟ وما هي هواياتك؟.

× وهنا يقول الدكتور مع الابتسامة .. والله يابه ناسي ما ولعي وما هي هواياتي .. لكن الحقيقة انما قيل عن تولعي بركوب الدراجات لاساس له من الصحة اما هواياتي اذا اردت فهي الذهاب الى السينما مع اولادي لمشاهدة الافلام التي استطيع ان اشترك بالتمتع فيها مع الاولاد فقد اجد صعوبة في اختيار الفيلم الذي نستطيع التمتع به جميعا مع هذا فنحن لانمل الافلام الهزلية كافلام لوريل وهاردلي المعروفة بالاوساط العراقية بـ(السمين والضعيف)..

وثمة هواية اخرى هي مطالعتي لكتب الملالي التي تستوعب جدلهم الفارغ حول العقائد .. وهنا يكاد الدكتور يمثل هذه الملالي بيده ولسانه فيؤشر قائلا .. تصور سخيف يرد على سخيف ويتعصب الى رايه تصور اثنين فارغين انني اتلذذ بهذه الكتب وقد يتخيل لي اني اشاهد احد افلام لوريل وهاردلي الهزلية .. وعند انتهاء الدكتور من اشعال سيكارته الثامنة سالت عن قيمة شخصية الفرد العراقي اذا ما قورنت بقيم الافراد في البلدان العربية والاسلامية المجاورة فاجاب ..

× الذي اميل اليه ان المجتمع العراقي يختلف كثيرا عن المجتمعات الاخرى بصفة خاصة به وهذه الصفة اتت من كون العراق قد وقع من قديم الزمان تحت وطاة البداوة والحضارة بدرجة متوسطة فهو واقع على حدود الصحراء من ناحية ومن الناحية الثانية ان العراق ذو حضارة عريقة فمثلا نرى ان البداوة غالبة على المجتمع الايراني ولكن العراق واقع في الوسط فهو يستمد من حضارته القديمة وثرواته البداوية الكثير من قيمها واخلاقها وفي نظري ان هذه من المشاكل الزراعية للعراق الكبرى .. حيث اصبح الفرد العراقي كما قلت في مناسبة سابقة مزدوج الشخصية تارة حضاريا وتارة بدويا ..

ثم طلبنا منه رؤية في وجودية جون بول سارتر فقال بعد تفكير ليس بالقصير

× والله فكرتي عن الوجودية غامضة اذ لم اتعمق في بحثي عن الوجودية ولا استطيع ان افرق بين وجودية سارتر او غيره انما الوجودية ليست علمية ولا تتلاءم مع النظريات الحديثة التي جاء بها علم النفس والاجتماع والانثرو بايلوجي فالوجودية تقول بان الطبيعة البشرية تقوم على اساس الحرية المطلقة ولكن علم النفس الاجتماعي اثبت ان الشخصية البشرية قائمة على اساس التفاعل بين الطبيعة الموروثة في الانسان والقواعد الموجودة في محيطها وهذه القواعد كما لايخفى ليست سوى قيود على الحريات كما يفهمها الوجوديون فالطفل الذي ينشا على الحرية حيث يتركه ابواه يعمل ما يشاء فانه ينمو بلا شخصية ولا عقل كالحيوان ومعنى هذا ان شخصية الانسان لاتنمو الا اذا كانت هناك موانع اجتماعية وقواعد تضبط سلوكه وبنتيجة التفاعل بين الضوابط وبين نزعته الطبيعية تنمو شخصيته وينضج عقله اما عن سارتر والفرق بينه وغيره من الوجوديين فلا اعتقد اني قادر على الحكم في مثل هذا الموضوع لانني قليل الاطلاع في امر الفرق بين زعماء الوجودية. وتنتهي مع انتهاء جوابه عن الوجودية في سيكارته العاشرة التي يعقبها باخرى .. قلت له :

– لم يبق عندي غير سؤالين واخشى ان تكون قد تعبت فقال لا ..لا .. اسأل والله شيء ممتع .. قلت له بماذا تعلل الكرم وكرم العرب بالذات فاجاب ..؟

× الكرم او الكرم العربي منشؤه البداوة فالبدوي يعد الكرم من لوازم الشجاعة ذالك لان البدوي قد اعتاد ان يحصل على رزقه بحد سيفه وقوة ذراعه فلا مجال في البداوة للبراعة المهنية في سبيل الحصول على الرزق .. والبدوي بصورة عامة يحتقر كل ذي مهنة .. ولايخفى ان صاحب المهنة بوجه عام يميل الى الاقتصاد لاحتياط الغد..

– اما اخر ماطلبناه من الدكتور فهو مقترحاته لحل مشكلة البغاء وسالناه عما اذا كان فتح مصرف يعين القادمين على الزواج مجد ام لا فقال .؟

× في رايي الحكومة قد اخطات خطأً فظيعا في سياساتها اتجاه البغاء فالبغاء لايمكن ان يقضى عليه ولاتخلو امة من الامم من البغاء ويجب على الحكومة ان تعترف بخطئها وان تكيف سياساتها والظاهر ان الحكومة ستحاول ان تقضي على البغاء قضاء نهائيا هذه الايام وهذا الامر لاينتهي عند حد لان البغاء لايمكن القضاء عليه .. لقد كان من اللازم اول الامر ان لاتسد الحكومة المبغى العام .. انما تحوله الى مكان بعيد منعزل ثم تبدا النظر في المشاكل التي تنتج عن البغاء كقضية استغلال الساذجات من الفتيات ويربطهن بسندات والنظر الى قتل المراة وما شابه .. ولو فعلت الحكومة ذلك لتخلصنا من كثير من الشرور التي نعانيها اليوم.

× والى هنا ودعنا الدكتور شاكرين فضله بعد ان امضى معنا ساعتين ونصف اتى فيها على علبة سجائر كاملة ..

خليل الشيخ علي ..مجلة قرندل

بغداد/ تشرين الاول 1957

من اوراق الملك غازي

اللقاء الاول مع الملكة عالية

الوثيقة رقم (٣)
المملكة العراقية
البلاط الملكي
١/كانون الاول/ ١٩٣٣
وفي اليوم نفسه استيقظت صباح اليوم سرعا لاني بانتظار الاميرة عالية حيث ستصل بالقطار الى عاصمة مملكتها.. وسوف انتظرها قرب جنينة الوالدة وقد انبت عني خالي الامير حسين وبعض المسؤولين.
وفي الساعة السابعة وعشرة دقائق حضره (حضرت) الى قصر الحرم العامر وقد استقبلتها في المدخل وقد بدأ عليها التعب والارهاق من السفر الطويل وقد سررت بقدومها.. وبعد لقاء قصير بيننا حضرة (حضرت) جلالة الملكة الوالدة وقد عزتها بفقيدنا المغفور له جلالة الملك فيصل الاول.
وبعد استراحة قصيرة.. قدمت لها القهوة ولم تتناولها.
ثم ذهبت الى قصر والدها جلالة الملك علي بن الحسين.
وقد تركه (تركت) هذه المقابلة القصيرة الاثر الكبير والطيب في نفسي.. لزوجتي ملكة العراق المقبلة.. لقد كنت مسرورا باللقاء برغم قصره..
حمدا لله على كل نعمه.

التوقيع الملك غازي الاول
ختم البلاط الملكي
١٩٣٣/١٢/١

التعليق:
ولدت الملكة عالية في ١٩ كانون الثاني من عام ١٩١١ بمكة المكرمة وهي ابنة الملك علي الملك الحجاز بن الشريف حسين بن علي بن عون، وشقيقة الامير عبد الاله والاميرة بديعة والاميرة جليلة والاميرة عابدية.
وقبل ان يقترن الملك غازي بابنة عمه الاميرة عالية، اراد ان يتزوج الآنسة (نعمت) اصغر بنات ياسين الهاشمي حيث كانت صداقة بين بنات الهاشمي وبنات الملك فيصل (شقيقات الملك غازي) وربما تكون اخوات الملك قد حبذن لاخيهن الاقتران باحدى بنات ياسين الهاشمي، وصار هذا الخبر يتردد في الاوساط ، وعندما سمع نوري السعيد هذا الخبر طار صوابه، واسرع يوحد جهوده ومساعيه مع جعفر العسكري لإفشال ت لك الزيجة، اعتقادا منهما انها اذا تمت فسوف تتيح لياسين الهاشمي مركزا خاصا يقضي به على طموحهما السياسي،وقد سافر نوري السعيد الى الاردن واتصل بالملك عبد الله من اجل الاسراع بتزويج الملك غازي بالاميرة عالية ابنة عمه الملك علي.
وقد ذكر مصطفى العمري –مدير الداخلية العام يومها – ما يؤيد هذه الرواية فقال: في يوم ٢٦ ايلول ١٩٣٣ زارني محمود جلبي الشابندر ومصطفى عاصم، وقد روى لي الاخير ، ان ياسين الهاشمي كان يسعى الى تزويج ابنته من الملك غازي، الا ان السعيد وناجي شوكت وجعفر العسكري قد تدخلوا في الامر، ووسطوا الامير عبد الله والملك علي فحالوا دون ذلك، وعقد النكاح على بنت الملك علي، بالرغم من عدم وجودها في العراق.
اما ناجي شوكت فقال في هذا الخصوص:
تلقيت اشارة تلفونية من ديوان الرئاسة لحضور جلسة مستعجلة فوق العادة يعقدها مجلس الوزراء في ذلك اليوم، فلما حضرت وجدت نوري السعيد في حا لة هياج شديد، وهو يقول: (هاي عايزة يصبح ياسين عم الملك) ثم اتضح لي ان الملك يرجح ان يكون اقترانه باحدى كريمات ياسين الهاشمي على اقترانه بكريمة عماه، ثم اضاف يقول: وقد ظهر بعد ذلك انه كانت هنالك صداقة بين بنات الهاشمي وبنات الملك فيصل.
وعلى هذا دعي مجلس الوزراء الى عقد جلسة خاصة وسرية لمعالجة هذه المشكلة، وبعد اخذ ورد ارتؤي اقناع الملك غازي بضرورة العدول عن ترجيحه الاقتران بكريمة ياسين الهاشمي على الاقتران بكريمة عمه.
وليس من المستبعد ان يكون نوري السعيد وبقية افراد العائلة المالكة والمقربين منهما قد اقنعوا الملك غازي بالتخلي عن فكرته، وهكذا اتخذت التدابير المستعجلة لانجاز هذا القرار.
وتمت الخطوبة والملكة عالية في الاستانة بعد وفاة الملك فيصل بعشر ة ايام أي في يوم ١٨ ايلول

١٩٣٣ وكلف الامير عبد الاله بالذهاب اليها واحضارها فجاءت الى بغداد في يوم ٢ كانون الاول ١٩٣٣ ، اما يوم الزفاف فقد تأجل الى ما بعد انتهاء ايام الحداد وبعد مرور اربعة اشهر على وفاة الملك فيصل الاول من غير جلبة ولا ضوضاء ومن غير ان تقام أي مراسيم في البلاد احتراما لزعيم الاسرة الهاشمية واول ملك للعراق بعد استقلالها.
وقد وزعت الخيرات على الفقراء في جميع انحاء العراق واقامت الحكومة ولا ثم في الساحات العامة واطعمت الطعام لكل من حضر وقد صرفت في كل لواء ١٥ دينارا للخيرات، وامر الملك بتوزيع مبالغ اخرى على المعاهد والجامعات الخيرية في العاصمة.
اما حفلة القران فكانت غاية في البساطة لم يدع اليها احد غير امراء البيت المالك والوزراء وقاضي بغداد ورئيس مجلس النواب مراعاة للحداد وحضر الملك عبد الله حفلة القران هذه واقتصرت على تناول طعام العشاء على المائدة الملكية.
وانتقلت الملكة عالية الى بيتها الجديد (قصر الزهور) وفيه اخذت تتلقى دروسا في العلوم والاداب على مدرسين ومدرسات ممتازين. والحقيقة التي لاجدال فيها ان الملك غازي لو تزوج ابنة ياسين الهاشمي (نعمت) لتغير العراق وسارت البلاد في غير الاتجاه التي سارت عليه فيما بعد، وفي تاريخ العالك كثير من الامثلة على ان زواج الملوك يغير مجرى تاريخ اوطانهم التي يحكمونها فقد تسعد وقد تشقى نتيجة ذلك.
ويروي توفيق السويدي جانبا من الاحاديث التي دارت بينه وبين الدوتشي موسوليني في شهر ايار ١٩٣٤ بخصوص زواج الملك غازي فيقول: "سألني موسوليني عن زواج الملك غازي الاول بابنة عمه، فعلق على ذلك قائلا: انه كان يرجح ان يتزوج الملك غازي باحدى بنات ملوك الدول العربية المجاورة للعراق او البلاد ا لا سلا مية حتى تتأثر ا لصلا ت و تتأ يد الوشائج فيما بينهم، وذكر بصورة خاصة من انه لو كانت الفرصة قد اتيحت لجلالة الملك غازي للزواج باحدى بنات الملك فؤاد ملك مصر، لكان ذلك احسن للطرفين اذ ما فائدة البقاء في دائرة شيقة من القرابة مع العلم ان التوسع فيها يؤدي الى نتائج للبلاد".
وقد نشرت جريدة الاستقلال وصفا لاستقبال الاميرة عالية عند وصولها الى بغداد من دخولها الى الحدود العراقية التركية.
من دخولها الى الحدود العراقية التركية حتى وصولها الى بغداد، فقالت:
وصلت صاحبة الجلالة الملكة يرافقها سمو الامير عبد الاله الحدود في تل زوان الساعة الثامنة والدقيقة ٣٥، واستقبل جلالتها هناك مدير شرطة الموصل، وكانت معه سيارتان مسلحتان، ولما وصلت الملكة بئر عكلة استقبلها متصرف الموصل وسار في ركابها الى الموصل حيث نزلت في دار المتصرف وأمضت ليلتها هناك.
وفي الساعة التاسعة قبل الظهر ١٩٣٣/١١/٣٠ غادر ركابها الموصل الى كركوك بالسيارة تخفرها مصفحتان الى الكوير ورافقها المتصرف ومدير الشرطة وفي الكوير استقبلها متصرف اربيل ومدير شرطتها وودع جلالتها هناك متصرف الموصل ومدير شرطتها الى مقر وظيفتهاز ورافقها كل من متصرف اربيل ومدير الشرطة الى (التون كوبري) حيث كان في استقبال جلالتها متصرف كركوك ومدير شرطتها اللذان رافقا الركاب الى كركوك اذ نزلت ضيفة كريمة في دار المتصرف وفيها تناولت الغداء مع الحاشية الملكية.
وفي الساعة السادسة والدقيقة ٥٠ بعد الظهر استقلت الملكة وشقيقها القطار الخاص مع الحاشية من كركوك الى بغداد وكانت قوة من الشرطة بقيادة احد المعاونين، وفي الساعة السادسة صباحاً شرفت جلالتها العاصمة وكان في استقبالها في المحطة الامير حسين مندوبا عن جلالة الملك غازي وصبيح نجيب مدير الشرطة العامة وتحسين قدري مدير التشريفات ومحمود حلمي امين العاصمة وعبد الرزاق حلمي متصرف لواء بغداد وعدد كبير من كرام السيدات والاوانس حيث كان قد اعدت لهن في المحطة غرفة خاصة للانتظار.
وعند نزول جلالتها من القطار استقلت سيارة ملكية خاصة وقصدت قصر الحرم العامر وقدمت التعازي الى جلالة الملكة الوالدة ومن هناك ذهبت الى قصر والدها الملك علي.
ويذكر الكاتب السيد سالم محمد كريم في مقال له منشور في جريدة الجريدة بعنوان (صورة قلمية لزفاف الملكة عالية) يقول فيه: سافر الامير عبد الاله شقيق الاميرة عالية الى الاستانة في تركيا مكلفا من والده الملك علي ليصطحب شقيقته الاميرة عالية الى بغداد لاتمام مراسيم الزواج بزوجها وابن عمها الملك غازي ملك العراق وبعد ان امضى بضعة ايام هناك اتى الى بغداد وبصحبته الاميرة وقد سلكا الطريق البري الذي يربط تركيا بالعراق مرورا بلواء الموصل العراقي ومن ثم كركوك فالى بغادد حيث حلت في قصر والدها الملك علي ببغداد بجانب الكرادة بانتظار اجراءات الزفاف من ابن عمها بعد انتهاء فترة الحداد على عمها الملك فيصل الاول.

عن كتاب رسائل الملك غازي
زهير كاظم عبود

حسو أخوان... وخدمات ما بعد البيع

حمدي الطائي

اليوم وبعد أن ودعت بغداد ألزمن ألجميل وتلاشت صورتها المشرقة حكاية حسو أخوان وبغداد الخمسينات ربما تبدو وكأنها من قصص ألف ليلة وليلة أو ضرب من الخيال لما حصل من خراب للعراق.

دخل التلفزيون بغداد في ١٩٥٤ حيث عرضته شركة باي الألمانيه وقامت بشرائه حكومة العراق في عهد الملك فيصل الثاني وأفتتح الملك البث بتاريخ ١٩٥٦/٥/٢ بمناسبة ميلاده الواحد والعشرين ، بذلك أعتبر أول تلفزيون بالشرق الأوسط وهرعت الناس الى المقاهي التى تمتلك ذلك الجهاز ألاعجوبة.. وبدأ البغداديون بشراء التلفزيون الذي أصبح لابد منه والبعض فضل أن يشتري الجهاز من أسواق حسو أخوان الواقعة في شارع الرشيد قرب ساحة حافظ القاضي (ساحة فيصل الثاني سابقا) وحسو أخوان عبارة عن محل كبير فيه ما يحتاجه البيت من كهربائيات الى ملابس ولعب أطفال وغيرها وما يسمى اليوم في دول الغرب للتسوق وقفة واحدة للتسوق ..... One Stop Shoppers.

وخدمات ما بعد البيع أي صيانة وتصليح الأجهزة الكهربائية ومنها جهاز التلفزيون بالنظام المعروف عالميا after sale service

المعمول به في بعض البلدان الغربيه وأستمرت أسواق حسو أخوان بتقديم خدمات الصيانة ألتزاما منها طالما الجهاز مباع من قبلهم وأتذكر أحد الفنيين الذي كان يقوم بصيانة جهاز التلفزيون ماركة باي الذي أشتراه والدي المرحوم كان يأتي أينما سكنا في بغداد بسيارته نوع أنكليا أنكليزية الصنع وعدّته مع أبتسامته التى لاتفارق وجهه ليقوم بفحص ألجهاز وتنظيفه أو تبديل لمبه حين كانت التلفزيونات الأسود وألابيض تعمل بنظام اللمبات وأن تعذر أصلاحه في البيت يقوم ذلك الفني بنقل التلفزيون الى ورشة الصيانه في شركة حسو لأصلاحه ثم أعادته لنا ..

أستمرت تلك الخدمة الى نهاية الستينات حيث أغلقت الشركه بعد أصدار القوانين التي تحد من ألاستثمارات ألاهلية ..

لم تكن شركة حسو أخوان الوحيده التى أغلقت أبوابها بل شركات عديده مثل وكالات بيع السيارات ماركة فورد وشيفروليه ومحلات نوفكس الشهيرة ببيع الملابس الرجالية ومكتبة مكنزي وغيرها من المعالم الشهيره..بألاضافة الى هذه المراكز الذي كان أورزدي باك له ثلاثة فروع في بغداد – سوريا – تونس – مع مقره الرئيسي في باريس Orosdi Back...الواقع في شارع الرشيد حيث كان هناك فرقه موسيقه تعزف داخل الأسواق خلال مناسبات التخفيض ويستقبلك البواب برفع قبعته تحية ..

ومن الطرائف التى تحصل كان بعض زوار بغداد من المحافظات يسألون عن أورزدي باك فيقولون أينِ أورزدي بيكَ ضنا منهم أنه أسم شخص والعباره بيك كانت تستخدم للتفخيم وهي تركيه ألاصل..

هذا كانت بغداد في أيام نسميها أيام الخير ورب سائل يسأل وما خطب بغداد هذه الأيام فأقول وفي قلبي غصه كبيره ، اليوم لاتوجد خدمات ما بعد البيع ليس فقط في بغداد بل وحتى في بعض الدول المتقدمه ولكم أن تقارنوا ، وهكذا تحول ألمركز ألتجاري لبغداد من محلات راقيه تزهو بالذوق ألى مركز بسطيات وجنابر ونفايات فحيوا معي الجمهورية ..

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل

طبعت بمطابع مؤسسة
للإعلام والثقافة والفنون